www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء الثامن

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٢٩ صفر سنة ١٣٤١ـ٢٦ الميزان (خ١) سنة ١٣٠١ هش ٢٠ أكتوبر سنة ٩٢٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من مدينة بنكوك (سيام) ﴾

(س٣٨—٤٥) من صاحب الامضاء

(١) يقع اختلاف وشقاق في كل عام بين أئمة المساجد في اثبات هلال رمضان فمنهم من يعتمد ويعمل بمثل جدول الشهور والايام للشيخ القزويني ومنهم من يعمل بما قال في عجائب المخلوقات بعد ذكر الجدول وهو ما نصه: قال جعفر الصادق رضي الله عنه: اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك ٥٠ سنة فوجدوه صحيحا اه ومنهم من لا يعمل الا بما قال الشيخ البجيرمي في حاشيته على شرح فتح الوهاب: — قال سيدي علي وفا المصري في فتاويه لا يستتر القمر اكثر من ليلتين آخر الشهر أبداً ويستتر ليلتين ان كان كاملا وليلة ان كان ناقصا. والمراد بالاستتار في الليلتين أن لا يظهر القمر فيهما ويظهر بعد طلوع الفجر. وفي عبارة بعضهم: واذا استتر ليلتين والسماء مصحية فيهما فالليلة الثالثة أول الشهر بلا ريب والتفطن لذلك ينبغي لكل مسلم فان من تفطن له يغنيه عن التطلع من(؟) رؤية هلال رمضان ولم يفته يوم ان كان كاملا وحديث «صوموا لرؤيته» الخ في حق من لم يتفطن لذلك. ولو علم الناس عظم منزلة رمضان عند الله وعند الملائكة وعند الانبياء لاحتاطوا له بصوم أيام قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه اه (قال) وهو كلام نفيس فاحفظه. والبقية يصومون بالرؤية ويفطرون بالرؤية عملا بالحديث الشريف فصار كل مسجد يصوم بما رأى أمامه.

وكذلك يختلفون في اثبات هلالي شوال والاضحى كاختلافهم في اثبات هلال رمضان بل العاملون بالرؤية يختلفون في قبول شهادة عدل واحد في هلالي شوال والاضحى (ولم تتوفر لاحد في سيام شروط العدالة المشروحة في كتب الامام الشافعي) فمنهم من يقبل ومنهم من يرفض فاعتماد الاول على ما ذكر البجيرمي في حاشيته على الاقناع في كتاب الصيام أنه هو المعتمد والثاني على ما قال الشافعي في الام والنووي في شرح مسلم. فالرجاء ملء صدورنا أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبينوا لنا الحق في هذه مع الرد الصريح على من اهتدى بغير السنة النبوية

(٢) ما حكم شراء أوراق اليانصيب ؟ فان الحكومة السياسية الآن تريد جمع المال لشراء الاسلحة النارية والطيارات الهوائية من أرباح اليانصيب لاعراض الجمهور عن التبرع لها) وما الفرق بينهما وبين الميسر الجاهلي ؟ فان قيل بالمنع. فما يفعل بالجائزة لو ربحت النمرة التي اشتراها مسلم قبل تيقن الحرمة؟

(٣) فشا بيننا اليوم: (١) التداوي بالادوية المركبة من الكحول (٢) واستعمال الروائح العطرية والافرنجية (٣) تعاطي البيرة (٤) ووضع خلاصة الفواكه (Essence) في عمل الحلاويات والمربات (٥) والاستصباح بزيت البترول (٦) والانتفاع بالغازات. فكل هذه مستحدثة يصعب علينا معرفة أحكامها شرعا فنلتمس من فضيلتكم بيانا شافيا مفصلا عن حكم كل منهما وعن أصلها وعن الفرق بين كل واحدة منها ان وجد. ولا تحيلونا على ما لم يكن بيدنا من فتاوى سبقت لكم في المنار أو غيره أفيدونا أثابكم الله والسلام

بنكوك نوى تلميذكم ناظر مدرسة البداية

عبد الله بن محمد المسعودي

﴿ جواب المنار ﴾

إثبات هلال رمضان والعيدين

قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد أجمع العلماء على أن الرد الى الله تحكيم كتابه والعمل به والرد الى الرسول بعد وفاته تحكيم سنته والعمل بها. وقد قال تعالى في كتابه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وناط رسوله (ص) إثبات الشهر برؤية الهلال والا اكملت عدة الشهر ثلاثين يوما. ولا حاجة الى سرد شيء في تفسير الآية ولا نصوص الاحاديث في ذلك فهي معلومة لديكم. ومن عجائب ضلالات التقليد أن يترك السنة الصحيحة الصريحة عارفها ويأخذ بقول زيد وعمرو من الناس الذين ليست أقوالهم دينا ولا حجة في الدين ولو لم تكن مخالفة للكتاب والسنة فكيف اذا خالفتها ولا هم من العلماء المجتهدين على ان المسألة ليست اجتهادية لوجود النص الصريح فيها. وقد قال الامام الشافعي في أول باب الاجماع من رسالته الشهيرة في أصول الفقه: «وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما » فما دامت رؤية الهلال ممكنة فلا يجوز العمل بالحساب ولا بمثل ما ذكر من الضوابط المبنية عليه ، ولكن قد يحتاج الى الضوابط اذا تعذر العمل بالسنة كأن تطبق الغيوم في قطر كبير عدة أشهر ويتعذر عليهم الوقوف على اثبات صحيح للشهر برؤية الهلال في مكان قريب منهم مثلا أو اذا كان الصيام في المنطقة القطبية وما يقرب منها حيث لا شهور — فهنا يجتهد في تقدير الاوقات للصلاة والصيام . وقد بينا هذه المسائل من قبل والغرض هنا بيان أن المصيب من المختلفين في المسألة في بلاد السائل هو الفريق الذي يثبت الشهر برؤية الهلال والا فبا كمال عدة شعبان ٣٠ يوماً اذا غم الهلال على الناس. وينبغي أن يكثر المستهلون لتثبت الرؤية بالتواتر فان لم يتفق ذلك وشهد برؤيته من لا يعد عدلا في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فلا بأس بأن يعد عدلا في مذهب غيره والعبرة بتصديق الناس له فاذا كنا نعلم أن زيداً يتحرى الصدق ويتنزه عن الكذب ولكنه لا يرى بأسا ببعض ما يعد في المذهب مسقطا المروءة ولا سيما اذا كان لا يعد مسقطا لها في هذا العصر أو لا يسقط مروءة مثله لمجموع مزاياه الاخرى ، فلا مانع من قبول شهادته . والعمدة في ذلك أن يعتقد صدقه ، فان بعض ما اشترطوه في العدالة مبني على العرف لا النص : كخرم المروءة. والعرف يختلف باختلاف الزمان والمكان . ويكفي في اثبات رمضان شهادة واحد، ثبت ذلك في السنة وجرى عليه الجمهور

وأما العيدان فالادلة في إثباتهما بشهادة عدل أو عدلين متعارضة والمهم أن يتفقوا على أحد القولين تفاديا من الاختلاف الذي يبغضه الله ويبغض أهله

بعد هذا نقول كلمة في تلك الاقوال التي نقلها السائل عن بعض المصنفين: فاما ما نقلوه عن جدنا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فهو صحيح في نفسه وانما يطرد بموافقة إثبات الشهر بالحساب الذي تقتضيه قواعد الفلك ولكنه قد يخطىء اذا جرى الاثبات على قاعدة الشرع بالرؤية، وما يظن ان الامام قال بترك الاثبات بما أمر به جده عليه الصلاة والسلام والعمل بالحساب ، وإلا فان العارف بالحساب لا يحتاج الى ذلك الضابط بل يعرف أول كل شهر معرفة قطعية لا شك فيها . وانما تختلف أقوال مؤلفي التقاويم أحياناً لان بعضهم يجري في ذلك على قاعدة تولد القمر وبعضهم يجري على قاعدة توافق الشرع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من حيث يجعل أول الشهر الليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال اذا انتفت الموانع كالغيوم وما في معناها. وقد بينا غير مرة ان الحكمة في جعل مواقيت الصلاة والصيام منوطة بما تسهل معرفته على جميع المسلمين من بدو وحضر أميين ومتعلمين هي أن لا تكون أمورهم الدينية بأيدي أفراد من علماء فن مخصوص كالفلك لا يوجدون في كل مكان وقد يعبثون بأمور الامة في دينها كما فعل رؤساء الاديان الاخرى. ونجد أهل الامصار الاسلامية الآهلة بالعلماء من جميع المذاهب لا يعملون في اثبات هلال رمضان والاعياد وغيرها الا بالرؤية أو اكمال العدة على كثرة الحاسبين المدققين فيها، ثم انهم يثبتون الرؤية إثباتاً شرعياً بحكم في دعوى صورية لاجل اعلام الناس كافة به بصفة يرتفع فيها الخلاف ليسلم المسلمون من الفوضى والخلاف في عباداتهم في كل قطر. فما يفعله أهل (سيام) عندكم مخالف لهدي الشارع ولحكمة الشرع ولعمل المسلمين سلفاً وخلفاً في جميع الاقطار الاسلامية

وأما ما نقله البجيرمي من أن حديث «صوموا لرؤيته» خاص بمن لم يتفطن لتلك القاعدة الحسابية — ومن أنه ينبغي الاحتياط لرمضان بصوم قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه — فهو باطل بشقيه ويستغرب قوله فيه: انه نفيس. ويترتب على قوله الاول أن نقبل قول كل من جاءنا بقاعدة أو طريقة يمكن أن يحصل بها مقصد الشرع في عمل من الاعمال من غير الطريقة أو القاعدة الثابتة بنص الكتاب والسنة — وحينئذ يكون كل واحد من هؤلاء شارعا لغير ما شرعه الله تعالى وناسخا لما شرعه ولو في الوسائل، وهو شرك بالله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا هذا المعنى في مواضع من التفسير والفتاوى القريبة العهد، وسيرى القراء شيئاً منه في الجزء الآتي من المنار في باب الفتوى ان شاء الله تعالى. وبمثل هذه الآراء أضاع من قبلنا أصول دينهم وفروعه

وأما الرأي الثاني فيقال فيه: ان الصيام لا يعد من رمضان الا اذا ثبت الشهر وكان الصيام بنية رمضان والا فقد ورد في السنة النهي عن صوم يوم الشك وعن استقبال رمضان بيوم أو يومين ...

وجملة القول ان الواجب على أهل بلدكم أن يعملوا في اثبات رمضان والعيدين بما يعمل به سائر المسلمين من الاستهلال فان رؤي الهلال فذاك والا أكملوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عدة شعبان؛ وأن يجتمع أئمة المساجد والعلماء ليلة الثلاثين من رمضان فان ثبت الشهر أعلموا به الناس وصاموا جميعا والا أفطروا جميعاً . (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

شراء أوراق اليانصيب وربحها

« اليانصيب » ضرب من ضروب الميسر التي كثرت في هذا الزمان كما كثرت أنواع أخته الخمر، فلا خلاف في تحريمه بين علماء المذاهب الاسلامية كلها ، وأما ربحه من حكومة غير اسلامية في دار الكفر التي لا تنفذ فيها شريعة الاسلام فمباح اذ لا يمكن التزام أحكامها واشتراط عقودها في تلك الدار بل يكفي في حل أموال أهلها وحكومتها رضاؤهم وعدم كونه سرقة أو خيانة لهم. ولا حاجة الى بيان الفرق بين هذا الميسر والميسر الجاهلي فان كل ميسر حرام كما أن كل خمر حرام، وان أكثر أنواع الخمر والميسر المستحدثة في هذا الزمان شر مما كان منهما في عصر نزول الشرع، وان كان بعض الفقهاء يقول ان حرمة الخمر المتخذة من عصير العنب أشد وأغلظ من سائر الخمور ، فهؤلاء بنوا قولهم على دعوى لفظية مرجوحة والحق الذي بيناه في التفسير ان كل شراب مسكر فهو خمر لغة وشرعا ، وان شر الخمور أشدها ضرراً في العقل والبدن كالتي يسمونها الاشربة الروحية ولاسيما المستحدثة بالطرق الاوربية ، وكذلك الميسر شر أنواعه مااستحدثه الاوربيون في هذا الزمان

الادوية والاعطار الكحولية

اذا كان في الادوية التي يدخلها الكحول أشربة مسكرة فلا شك في تحريم شربها وعدم اباحتها الا في حال الاضطرار التي تبيح المحظور لقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) قيل ومادون الاضطرار من التداوي الذي يكون بتجربة صحيحة أو برأي طبيب عدل يصدقه المريض بأن هذا دواء له ولا يوجد غيره يقوم مقامه. وقد فصلنا هذا البحث بأدلته من قبل. ولكن يوجد كثير من الادوية الجامدة والمائعة التي يدخلها الكحول للتطهير واماتة جراثيم الفساد ولغير ذلك من حفظ المواد أو تحليلها أو تركيبها وهي ليست أشربة مسكرة فهذه لا وجه للامتناع من التداوي بها. ومثلها الاعطار الافرنجية المعدة للتعطر وللتطهير الطبي فلا وجه لتحريمها الا عند من يعتقد أنها خمر نجسة ، وقد بينا بطلان هذا القول في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجلد الرابع من المنار وفي غيره كالمناظرة فيه بيننا وبين بعض كبراء علماء الازهر

وقد جاءتنا في هذه الايام فتوى من الهند بتحريم تزيين المساجد بالطلاء الذي يدخله (الاسبيرتو) بناء على القول بأنه خمر نجس وقد سئلنا عن رأينا فيها فأجبنا جواباً طويلا ضاق عنه هذا الجزء وسترونه فيما بعده ان شاء الله تعالى وتعلمون منه ان هذه الادوية والاعطار لا يحرم منها شيء وانما يحرم الشراب المسكر فقط

البيرة البيرة شراب مسكر يسمى في اللغة العربية (الجعة) فهو محرم قطعاً، وان كان القليل منه لا يسكر فان القليل ذريعة الى الكثير

خلاصة الفواكه ان أنواع الحلوى والمربى التي توضع فيها خلاصة الفواكه كالموز والتفاح كثيرة في مصر وغيرها من بلاد الاسلام يأكلها المسلمون من العلماء وغيرهم ولم يبلغنا ان أحداً جعلها موضوع خلاف يحتاج فيه الى الاستفتاء، ولا نعلم أن منها خمر، على ان الخمر اذا دخلت في مواد وطبخت هذه المواد خرجت عن كونها خمراً مسكرة وطهرت على القول بأنها كانت نجسة — وهذا مذهب الحنفية الراجح المختار عندنا فيها كما بيناه في الرد على الفتوى الهندية المشار اليها آنفاً

الاستصباح بزيت البترول قد استفر بنا سؤالكم عن الاستصباح بزيت البترول وقولكم انه من المستحدثات في بلاد سيام فنحن منذ عرفنا الدنيا رأيناه يستصبح به في الدور والمساجد ولا وجه لجعله مما يسئل عن حله وحرمته فان الاصل في جميع الاشياء النافعة الحل واذا وجد شيء جديد ضار أو فيه ضرر من جهة ونفع من أخرى فهو الذي يسئل عن حكمه

الانتفاع بالغازات ما قيل في زيت البترول يقال في الغازات والمستعمل عندنا في الاستصباح منها غاز الفحم الحجري وهو كثير في مساجدنا ومنها الجامع الازهر. والله تعالى أعلم

﴿ استفتاء آخر في اسلام أهل سيام ﴾

﴿ المشوب بالاعمال والشعائر الوثنية البوذية ﴾

(س٤٦) من صاحب الامضاء

ماقولكم، دام فضلكم:

في مسلمين نساؤهم متبرجات تبرجا دونه تبرج الجاهلية الاولى. لا يرين في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنفسهن عورة سوى السوأتين ، يتعاطين أشغال الحياة خارج البيت أكثر من داخله ، ويختلطن مع الرجال الاجانب ، ويزاحمنهم في الاسواق والحفلات والولائم وكل الاشغال ، يقلن: لا إله الا الله محمد رسول الله ، ويصلين الخمس ، ويصمن رمضان الخ ، ويحضرن أسواقا خيرية ، وحفلات بوذية ، يقيمها البوذيون في معابدهم ، ويشتركن معهم فيها في الملهى والميسر في مكان مزدحم ، ولا يوجد أدنى فرق بينهن وبين البوذيات في الزي والهيئة ، — هذه أوصاف بناتهم ونسائهم — فهم لم يعرفوا ولم يعترفوا ان للحياء معنى ، وللغيرة معزى ، يهينون من لم يتزي بزيهم ، ويعيرون من لم يتخلق بأخلاقهم ، ويقلدون البوذيين في آدابهم ، وفي الملبس والمسكن والوساخة ، وفي بعض الامور الدينية ، . وللوثنيين ملبس خاص قبيح المنظر جداً ، ما يستر غير السوأتين ، ومسكن عجيب فيه غرفة أو غرفتان هي قاعة الاستقبال وقاعة النوم والاكل معاً — أول ما يرى الزائر عند دخوله المطبخ ومافيه ، والمرقد وما حواليه . كما ان وساختهم ليس لها حد ، ولقد صدق القائل : لا عتاب بعد الكفر ، ولهم معابد كثيرة قلما يخلو شارع من معبد أو معبدين ، وأقل مساحة كل معبد في بنكوك ٦٠٠ متر مربع . كذلك تجد مساجد المسلمين في كل حارة نزلوا فيها من مسجد الى أربعة يكثرونها بدون أقل حاجة ، يقيمون في كل منها الجمعة ويتبعونها بالظهر ، وكل مسجد معارض ومعاد للآخر — وكل معجب بما عنده — فجمعتهم تفرق وحدتهم ، وتبعث التنافر والتقاطع والتنابذ بينهم ، وعلى ما ظهر تنزل غضب الله عليهم ، ومع كثرة هذه المساجد — وفي عاصمة بنكوك فقط فوق عشرين مسجداً جامعاً — تجد عدد مصلي الجمعة في كل مسجد لا يتجاوز العشرين رجلا الا في مسجدين أحدهما في (بنكوك نوى) والآخر في (وسكيت) وهذه المساجد معظمها مقفلة الابواب في كل يوم ، ولا تفتح الا في أيام الجمع وليالي رمضان ، وعند حضور الجنازات ، كما ان معابد الوثنيين لا يفتحونها الا في أيام معلومة . وصلاة الجماعة مفقودة في غير مسجدين أو ثلاثة كأن لم يكن لهم علم بأنها من شعائر الاسلام والمسلمين

والمتوظفون في هذه المساجد والمتدينون عندهم محلقو الرؤس شعث غبر متقشفون تاركو التجارة والصناعة والحياة الشريفة لاهل الدنيا . فمن يحلق رأسه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو ينظف أسنانه أو يصلح زيه يمدّ عندهم مارقا . فعاشهم يأتيهم رغداً من ثمار ترغيب القوم وترهيبهم في فدية الصلاة والصوم وصلاة الجنائز، ولا يحضر أحد لصلاة الجنازة الا بدعوة من المصاب ، فأموات الفقراء يمد المصلون عليهم بالاصابع وأما الاغنياء فلا تسل — ومن الولائم واهداء ثواب الذكر والقرآن بل بيعه لاموات الاغنياء والمثرين ، ومن استنزاف ما بأيدي الناس من الصدقات بالترغيب في وضعها في أيدي العلماء والصالحين، والترهيب من أن تقع صدقة في يد الجهلاء والطالحين ، فكم من مسلم فقير عضه الدهر بأنيابه لم ينظر اليه أخوه المسلم، وكم وكم!! لان هذا في عينهم ليس من المستحقين للبر لفقره، أو لانه غير محلوق الشعر

وكل فقيه من فقهائهم أو امام من أئمتهم (عدا أهل بنكوك نوى) يشحذ ، والشحاذة شعار علمائهم والمتدينين منهم ، فاذا خرج فقيه الى القرى يشحذ وحصل كثيراً صار كبيرا مقدماً يفوق أقرانه ! .. وكثير من أئمتهم وعلمائهم من يملك أموالا طائلة من الذهب والفضة والاطيان ولكن لا يزكونها اذهم عند قرب حلول الحول يهبونها لاولادهم ونسائهم فيصبحون فقراء يستحقون الصدقات فيجولون من بادية الى بادية ، ومن بيت الى بيت يشحذون، فبعد انصرام موسم الحصاد وانقضاء الحاجة يستردون الاموال من أولادهم ونسائهم، ويقرضون المعوزين ويأخذون منهم خمسة في المئة شهرياً ، ويستحلونها بطرق يستنبطونها من قواعد فقههم ، أو يعطونهم ورقة بنكنوت قيمتها ١٠٫٠٠ تيكلس مثلا بشرط أن يؤدوها بخمسة عشر تيكلسا فضة ، وهم لا يرون زكاة في أوراق البنكنوت فتفتح لهم الابواب يدخلون فيها زمرا فرحين مستبشرين بما أوحى اليهم كبار علمائهم

والخلاصة أنهم — في دينهم ودنياهم — على غير المألوف في المسلمين في أقطار العالم . وما من مسلم فاضل ينزل عندهم الا ولسان حاله يقول :

بليت بقوم لا أريد ودادهم ... فأكرههم جداً مع البعد والقرب

ولكنني أصطاد رزقي بأرضهم ... ولا بد للصياد من صحبة الكلب

فالمرجو أن تبينوا لنا حكم هؤلاء هل هم فسقة تسقط عدالتهم امام الشرع الحنيف أم لا؟ فهذا الذي ذكرت قليل من كثير مما هم عليه من الخزي والضلال، وما راءٍ كمن سمع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحمد وهاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ المنار ﴾ ان اطلاق لقب الفسق وسقوط العدالة بالمعنى المعروف أقل ما يقال في هؤلاء الناس ، وكنت أودّ لو أعرف شيئاً من تاريخ دخولهم في الاسلام ، وكيف يتعلمه الذكور والاناث في هذه الايام ، وهل يعرف عوامهم العربية وماذا يوجد عندهم من كتب العقائد والفقه ، وما يحسن أن يرسل اليهم منها ولو بغير ثمن ان كانوا يقرأون .

ان ماذكر السائل عنهم وقال انه قليل من ضلالاتهم الكثيرة يشمل عشرات من المعاصي المجمع على تحريمها دع مافيه خلاف منها هل هو فسق أو كفر ، أو هل هو من الكبائر أو الصغائر ، ولعلنا نفصلها في مقال خاص ،

ان بعض هذه الفواحش والمنكرات مما يكفر جميع علماء المذاهب الاسلامية من يستحله لانه من المعلوم من الدين بالضرورة ولا سيما مشاركة الوثنيين في عبادتهم وأكل الربا ومنع الزكاة واظهار عورات النساء للرجال على الوجه المبين في السؤال . ولا يعذر مرتكبو أمثال هذه الكبائر الا اذا كانوا حديثي عهد بالاسلام بحيث لم تبلغهم أحكامه في هذه المسائل وظاهر ماذكرتم من أمرهم أن منهم فقهاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، ولعل بلاءهم من فقهائهم كأكثر عوام المسلمين الذين لا يهتم فقهاؤهم بنشر الدين فيهم ويكرهون كل من يرشدهم اليه ويصدونهم عنه ، أوليسوا هم الذين كتبتم الينا انهم يصدون عن المنار ويعادون قراءه « ويرمونهم بألسنة حداد ، ويجعلونهم من المفسدين لآثار الآباء والاجداد » فما الحيلة في هداية عامتهم ، اذا كانت هذه حالة علمائهم؟

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

والذي نراه أنه اذا أمكن إطلاع هؤلاء الناس على حكم الله فيما هم فيه وكانوا في جملتهم مذعنين لاصل الدين ، فلا بدأن يهتدي كثير منهم واذا كانوا يعرفون العربية فيحسن اطلاعهم على كتاب الزواجر للفقيه ابن حجر المكي الشافعي ، ونحن مستعدون لما نكلفه من السعي لهدايتهم . وأما اذا كانوا لا يذعنون لما يعلمون من دين الله قطعا فلا يعتد باسلامهم ولا يعبأ بصلاتهم ولا بصيامهم ، لان شرط صحة الاسلام أن يذعن المؤمن لكل ما علم أنه منه ، ولا يستحل مخالفة شيء منه ، ولا يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وإلا كان متبعا لهواه لا لما شرعه الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه فأنت تكون عليه وكيلا)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

٢

كلمة الاستاذ منصور فهمي

أيها السادة

منذ أكثر من عشرين عاما ونحن صبية في أيام الدراسة الاولى اذكر انني كنت مع رفيق لي في شارع الدواوين

قيد أبصارنا على مقربة من باب احدى تلك الدواوين مرأى شيخ معمم أشيب، ربع القامة، مهيب الطلعة، لطيف المشية

نظرنا الى الشيخ نظرة المتفرج المتعجب حتى دخل الديوان وتوارى عن ابصارنا . قال صاحبي ذلك هو الشيخ عبده فقلت : كان ينبغي أن نحييه، وعاتبت رفيقي على أنه لم يبدأ بالتحية فأتبعه، وعاتبني اذ لم أكن البادئ فينبغي . ثم حمل كل منا رفيقه اثم ذلك التقصير، وانتحل كل منا لنفسه ما استطاع أن يدفع به عن نفسه من المعاذير

سرنا في سبيلنا واستبقى خيالي صورة ذلك الشيخ الذي كنت رأيته للمرة الاولى، وأخذت تمر امام نفسي تلك الاقوال التي كانت تقذف حول اسم ذلك الرجل الجليل

أخذت أتصور معنى الاصلاح لاني كنت اسمع انه من المصلحين . ومعنى العلم لاني كنت اسمع انه من أكبر العلماء . ومعنى الخروج عن المألوف لاني كنت اسمع انه من الذين خرجوا عن المألوف الذي لا يعتمد على حق، ولا على عقل ، ومعنى العظمة لاني كنت أسمع انه كان عظيما

أخذت المعاني المختلفة تتوالى على ذهني الضعيف الغض لان الاحاديث التي كانت تدور حول اسم الشيخ كانت مختلفة الالوان أيضاً

ما كنت أستطيع وقتئذ أن أدرك حق الادراك معنى العلم ولا معنى الخروج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن المألوف ولا معنى العظمة ولا معنى الاصلاح . كنت لا أدرك ذلك وكان زميلي مثلي لايدرك تلك المعاني أيضا، ولكننا كنا نشعر بشيء واحد . هو رغبتنا الصادقة في أن نؤدي لذلك الرجل تحيتنا اكبار له واجلالا

كنا نرغب في ذلك أيها السادة كان في نفوس الصغار والسذج حسا يدركون به معنى العظمة وشعور خاصا يتبينون به ميزة الرجل العظيم، رغم مايستمرها من أقوال المتقولين، وذم الحاسدين، وثائرة الجاهلين

قضى القضاء أيها السادة أن تكون تلك المرة التي رأيت فيها الشيخ هي الاولى والآخرة، ولكن الله يريد أن اقف اليوم لاحيي الشيخ تلك التحية التي كنت أريد أن أقدمها اليه منذ عشرين عاما

نعم أيها السادة كنت أريد أن احيي ذلك الرجل وأنا صبي في بداية العمر وبداية العلم، واليوم أتقدم لتحيته وأنا أخدم العلم الذي كان الشيخ يخدمه وأحصل ثمارا كان الشيخ يعمل على انضاجها وأعين على تغذية اذهان طالما أراد الشيخ أن تشبع علما

كنت أريد أن أحيي الشيخ من عشرين عاما لاني كنت أشعر انه عظيم وممتاز، والان أتقدم لتحيته وقد أصبحت أدرك شيئا من معاني العظمة والامتياز

***

العظمة أيها السادة واسعة، واسعة، تتضاءل أمام سعتها وهيبتها كل المعاني العظمة من المعاني التي اذا مست الكون بنعدم عندئذ الفاسد ويتلاشى الحقير، ويظهر الصالح، ويعلو الكبير .

العظمة متحركة لاتعرف القرار والسكون وتمتد كاللهب المستعر في كل جهة وتعمل فيما يصيبه عملها النافع

لا تعرف القرار لانها تجري وراء الكمال وأمام الكمال . . . .

على ذلك يكون الرجل العظيم هو الذي يريد أن يعوض الناقص بالكامل ويعتمد على نفسه لملتهبة الحارة . لايريد أن يقف حيثما يقف الناس لانه يرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياة سائرة والكمال سائرا وهو يسير اينما سارا . لا تكون نفسيته حيث تكون نفسيات الناس لانها كبيرة تمتد في الوجود اللانهائي، ونفسيات عامة الناس صغيرة متضائلة لا تسد في الوجود الا فراغاً يسيراً

تلك هي بعض صفات العظيم فهل كان الرجل الذي نذكره اليوم على شيء من هذه الصفات ؟ .

ان من يطلع على حياة الشيخ يتبين القوة العظيمة التي كانت تقوم عليها نفسه الكبيرة وأدل دليل على ذلك ان الاعمال التي اتصلت بها جهوده وقع فيها حرب بين أسلوب القديم وأسلوب الجديد وكان هو حامل لواء الرأي وكان في جهاده مظفراً منصوراً .

أليس هو الذي عند اتصاله بصناعة الصحافة والتحرير أدخل في التحرير أسلوبا أصح ووجه الكتابة العربية وجهة الدقة والطلاوة .

أليس هو الذي أدخل الاساليب الحديثة في التعليم الديني عند اتصاله بادارته ؟

أليس هو الذي أجهد نفسه ليربط العلوم الاسلامية بالينابيع الصحيحة الواسعة ويوجهها وجهة الطرق العلمية الصحيحة ؟

أليس هو الذي كان صوته عالياً في محاربة روح الاستبداد والجمود أينما تكون ؟

أليس هو الذي أكبر شأن الافتاء عند اتصاله بذلك المنصب الكبير وأخذ يقفي في اقطار الاسلام المختلفة بمسائل دقيقة فتح بها للافتاء الشرعي مسلكا جديداً ؟

أليس هو الذي كان يوفق بين روح المحافظة وروح التجديد وروح الدين وروح العلم حتى يستفاد من حسناتها جميعاً ؟

أليس هو من أصحاب الفضل في المناداة بحرية الفكر واحترام استقلال الرأي ؟

ان الجيل الناشيء مدين للشيخ عبده بتعود التسامح وتقدير فوائد الاستقلال الفكري، وقد جهر الشيخ بفضل ذلك في خطبة القاها بتونس اذ يقول : « أقول قولي هذا ولا أريد به الزام سامعه بقوله وإلا خالفت ما أدعو اليه من استقلال الفكر وحرية الرأي . . »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان الجيل الحاضر يقدر له بلاءه الحسن في احترام الرأي القائم على التفكير، ويجب أن يقدر له المشتغلون بالعلم صيحته الصارخة بوجوب تعديل التعليم بحيث يخرج العلماء المشتغلين بالابحاث العقلية المحضة

قال بذلك في وصيته السياسية التي كتبها بالفرنسية الى الكونت دي جربفيل (فنشرها) في مؤلفه مصر الحديثة في ٦ يونيو سنة ٩٠٥ أي قبل موته بنيف وثلاثين يوما وسينشر أخونا الدكتور طه حسين تعريب هذه الوصية قريبا

قال الشيخ في هذه الوصية :

«اذا نظرنا الى التعليم الذي تنشره الحكومة من حيث قيمته فنحن مضطرون الى أن نلاحظ أنه لا يكاد يقدر الا على تكوين رجل محترف بحرفة يكتسب بها الحياة، ومن المستحيل أن يستطيع هذا التعليم تكوين عالم أو كاتب أو فيلسوف فضلا عن تكوين نابغة، وكل ما لدينا من المدارس التي تمثل التعليم العالي في مصر انما هي مدرسة الحقوق والطب والهندسة، وأما بقية الفروع التي يتكون منها العلم الانساني فقد ينال منها المصري أحيانا صورا سطحية في المدارس الاعدادية ويكاد يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئا، وهو في الغالب مكره على أن يجهلها جهلا تاما، وذلك شأن العلم الاجتماعي وفروعه التاريخية والخلقية والاقتصادية ذلك شأن الفلسفة القديمة والحديثة والآداب العربية والاوروبية والفنون الجميلة أيضا، كل ذلك مجهول لا يدرس في مدرسة مصرية . والنتيجة أن في مصر قضاة ومحامين وأطباء ومهندسين، تختلف كفاءتهم قوة وضعفا في احتراف حرفهم، ولكنك لا ترى في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث، ولا المفكر، ولا الفيلسوف، ولا العالم . لا ترى الرجل ذا العقل الواسع . والنفس العالية . والشعور الكريم، ذلك الذي يرى حياته كلها في مثل أعلى يطمح فيه ويسمو اليه» .

***

يتبين لكم مما تقدم أيها السادة أن الشيخ كان مبشرا بدار العلوم العقلية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالية ولم يمض قليل من الزمن حتى أنشئت الجامعة المصرية صدى لامنيته الكبيرة العالية

لانزال الى اليوم نحتاج الى مثل هذه الصيحة تنبهنا الى اننا نريد علوما توجد فينا رجالا واسعي العقول .

نريد علوما تكون فينا اخلاقنا ومدار كنا، وتحبب الينا الحياة او تبين لنا مايمكن ان يكون في العيش من جمال وسمو .

نريد ذلك الآن، وقد أراده الشيخ من قبل وجهر به واوصى فلا غرابة وقد اتخذت امانيه تسير في سبيل التحقيق ان يقوم في الجامعة المصرية أحد أساتذتها يذكر الشيخ بالحمد والتحية والاجلال .

أيها السادة . .

ان الوقت الذي قدر لي لاقف بينكم ذاكرا الشيخ لا يتسع لتعديد حسناته في حياتنا الاجتماعية ولكن حسبه من العظمة أنه كان من زعماء الدين ومن زعماء الدنيا معا .

توجه الى شؤون التصوف والتقى وفقه الدين، ولكنه لم يهمل شؤن الاصلاح والعمران فؤاد تولاه نور السماء . ولكنه وسع مسائل الارض .

ذهن وفق بين عالم الغيب وعالم الشهادة . .

رجل وصل بين الارض والسماء بسبب . .

« انه لرجل عظيم »

منصور فهمي

الاستاذ بالجامعة المصرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصيدة حافظ ابراهيم بك

آذنت شمس حياتي بمغيب ودنا المنهل يا نفس فطيبي
ان من سار اليه سيرنا ورد الراحة من بعد اللغوب
قد مضى « حفني » وهذا يومنا يتداني فاستثيبي وأنيبي
وارقبيه كل يوم انما نحن في قبضة علام الغيوب
اذكري الموت لدى النوم ولا تغفلي ذكرته عند الهبوب
واذكري الوحشة في القبر فلا مؤنس فيها سوى تقوى القلوب
قدمي الخير احتسابا فكفى بعض ماقدمت من تلك الذنوب
راعني فقد شبابي وأنا لا أراع اليوم من فقد مشيبي
حن جنباي الى برد الثرى حيث أنسى من عدو وحبيب
مضجع لا يشتكي صاحبه شدة الدهر ولا شدّ الخطوب
لا ولا يُسئمه ذاك الذي يسئم الاحياء من عيش رتيب (١)
قد وقفنا ستة (٢) نبكي على عالم المشرق في يوم عصيب
وقف الخمسة قبلي فمضوا هكذا قبلي واني عن قريب

(١) أي على وتيرة واحدة

(٢) يشير الى يوم تأبين المرحوم الاستاذ الامام فقد كان المؤبنون يومئذ ستة أولهم الاستاذ الشيخ احمد أبو خطوة والثاني حسن عاصم باشا . والثالث حسن عبد الرازق باشا . والرابع قاسم امين بك . والخامس حفني ناصف بك . والسادس حافظ ابراهيم بك . وقد مات المؤبنون على ترتيب وقوفهم في الخطابة واحداً بعد واحد ولم يبق غير حافظ — أطال الله بقاءه — وقد نظم ذلك المرحوم حفني بك ناصف بأبيات بعث بها الى الشاعر منها : —

أتذكر اذ كنا على القبر ستة نعدد آثار الامام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ممات على وفق النظام مرتب
ابو خطوة ولى وقفاه عاصم وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبي وغابت بعده شمس قاسم وعما قريب نجم حياي يغرب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وردوا الحوض تباعاً فقضوا باتفاق في منايام عجيب
أنا مذ بانوا وولى عهدهم حاضرُ اللاعة موصول النحيب
هدأت نيران حزني هدأة وانطوى (حقي) فعادت للشبوب
فتذكرتُ به يوم انطوى صادق العزمة كشاف الكروب
يوم كفَّناه في آمالنا وذكرنا عنده قول (حبيب)
(عرفوا من غيبوه وكذا تعرف الاقمار من بعد المغيب)
وغمنا بامام مصلح عامر القلب وأوابٍ منيب
كم له من باقيات في الهدى والندى بين شروق وغروب
يبذل المعروف في السر كما يرقب العاشق اغفاء الرقيب
يحسن الظن به أعدؤه حين لا يحسَن ظنٌّ بقريب
تنزل الاضياف منه والمنى والخلال الغرُّ في مرعى خصيب
قد مضت عشر وسبع والنهى في ذبول والاماني في نضوب
نرقب الافق فلا يبدو به لامع من نور هاد مستثيب
وننادي كل مأمول وما غير أصداء المنادي من مجيب
دويَ الجرح ولم يُقدر له بعد ثاوي (عين شمس) من طبيب
أجدب العلم وأمسى بعده رائدُ العرفان في واد جديب
رحمة الدين عليه كلما خرج التفسير عن طوق الاريب
رحمة الرأي عليه كلما طاش سهم الرأي في كف المصيب
رحمة الفهم عليه كلما دقت الاشياء عن ذهن اللبيب
رحمة الحلم عليه كلما ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
ليس في ميدان مصر فارس يركب الاخطار في يوم الركوب
كلما شارفه منا فتى غاله المقدار من قبل الوثوب
ماترى كيف تولى «قاسم» وهو في الميعة والبرد القشيب
أنسي الاحياء ذكرى (عبده) وهي للمستاف من مسك وطيب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انهم لو أنصفوها لبنوا معهداً تعتاده كف الوهوب
معهداً للدين يسقى غرسه من نمير فاض من ذاك القليب
ونسينا ذكر حقي بعده ودفنا فضله دفن الغريب
لم تسل منا عليه دمعة وهو أولى الناس بالدمع الصبيب
سكنت أنفاس حقي بعد ما طيبت في الشرق أنفاس الاديب
عاش خصب العمر موفور الحجى صادق العشرة مأمون المغيب

كلمة صاحب المنار[1]

أيها السادة

ان اخواني أعضاء لجنة هذا الاحتفال قد حدّدوا وقته وخصوني بالكلمة الختامية لانه مهما يقل من قبلي فانه يسهل علي أن آتي بشيء جديد ، لسعة وقوفي على تاريخ شيخنا الامام الذي نحتفل بذكراه ومعرفتي بشؤونه ، وأن أجمله على قدر ما بقي من الوقت إذ لا أكون ملتزماً لاتمام كلام معين مرتبط بعضه ببعض ..

أيها السادة : ان أخص صفات استاذنا الذي اجتمعنا لاحياء ذكراه هو انه إمام مصلح ، فهو في كل طور من أطوار حياته العملية كان يعمل لخدمة الناس واصلاح شؤون الامة ، ولم يكن يعمل لنفسه ولا لبيته شيئا يذكر ، فلو أجملت تاريخ حياته في كلمة مفردة لكانت تلك الكلمة هي « المصلح »

طرق جميع أبواب الاصلاح بل دخل فيها عالما عاملا مجيداً أمتقنا ، حتى تعلقت به آمال وطنه وأمته ، بل آمال الشرق كله وأكبره العلماء والعقلاء والاذكياء من كل أمة وشعب على اختلاف أديانهم ومشاربهم

قال المشير أحمد مختار باشا الغازي علامة الترك الشهير ورب السيف

---

(١) كانت الكلمة ارتجالية وكتبت بعد القائها بزمن طويل في الجملة فلابد أن ينقص المكتوب فيها جملا ويزيد اخرى ولو بسطا وايضاحا او يختلف ترتيبا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقلم في إكبار علمه وعقله : إنني أعتقد ن دماغ هذا الرجل أعظم دماغ عرف، وانه لو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم (كابرس بمارك). ولما قرأت في الجرائد نبأ وفاته (وكان الغازي يومئذ في أوربة) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة به لاعوض لها

وأبنه الدكتور عبدالله جودت أحد كتاب الترك المشهورين وحد مؤسسي جمعية الاجتهاد والترقي في مجلته (اجتهاد) التي كانت تصدر في مصر باللغتين التركية والفرنسية مرتين في العددين التاسع والحادي عشر من السنة الاولى فجعل عنوان الترجمة (الاموات الذين لايموتون) فقال في الاول منهما ماترجمته الحرفية

كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد الاربعين الذين لا يدخلون في طبقات الرجال، وانما اللانهاية هي الحد الوحيد الذي ينتهي اليه علمهم.

ثم قال كان الشيخ محمد عبده مسلما حقيقيا على قدم النبي صلى الله عليه وسلم. وقال في العدد الآخر: كان الشيخ محمد عبده مسيحا ثانيا منح للعالم الاسلامي الذي كان دوي سقوطه فيه يصمخ مسامع ذوي الوجدان، ويمزق أحشاء اصحاب الايمان.

وكتب الدكتور ادوارد براون العلامة الانكليزي المدرس في جامعة كمبردج كتاب تعزية قال فيه «مارأيت في الشرق ولا في الغرب مثله»

وقال ابراهيم باشا نجيب المصري: ان الناس لايعرفون قيمة الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة — أي بعد انتهاء جيلين في التربية الاجتماعية

وقال الدكتور يعقوب صروف صاحب المقتطف لما أكثر المؤبنون في حفلة الاربعين من وصف الاستاذ بكلمة فقيد الاسلام وفقيد مصر: اننا لانرضى بأن يكون فقيدكم وحدكم، بل نقول إنه أكبر من ذلك — انه فقيد الشرق كله

وأزيد هنا كلمة مما ضاق الوقت عن ذكره هنالك وهي ان السيد محمد توفيق البكري سمع نبأ وفاة الاستاذ الامام وهو في أوربة فلم يصدق الخبر فلما عاد الى مصر أخبرنا بأنه لم يصدق الخبر الا بعد عودته الى مصر وعلل ذلك بأنه كان يخال ان الموت لا يتجرأ على الشيخ محمد عبده وقال: لقد ترك الشيخ فراغا لايسده

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحد ، فانه كان كما قال المتنبي : ملء السهل والجبل . ولو ترك مناصب الحكومة وعمل مستقلا لاحدث انقلابا عظيما

أشار بعض الخطباء الى ما كان من تحامل بعض الشيوخ عليه منذ أشرق نور عبقريته بعد اتصاله بالسيد جمال الدين حتى سعى بعضهم فيه الى شيخ الازهر الشيخ المهدي العباسي عند امتحانه لشهادة العالمية ليسقطوه فيه وكانوا تقاسموا بالله ليحرمنه من هذه الشهادة ، ولكن الشيخ المهدي كان رجلا كبيرا لا يلتفت الى هذه السفاسف ، فلما حضر امتحانه ورأى ما رأى من نبوغه على ما كان من اعانة بعض مشيخة الامتحان له ، وكيدهم لايقاعه في الاغلوطات ، حلف إنه ما رأى مثله واته أحق من يأخذ الدرجة الاولى بها — فقنع حينئذ أبهم أشد على الرجل عتيا بأن يأخذ الدرجة الثانية ، فحلف بالطلاق أن لا يعدوها الى الاولى ، فبرّ شيخ الازهر قسمه — مع اعترافه بأنه ظلمٌ للممتحن — إطفاء للفتنة

كان أكثر تحامل من تحامل عليه من الشيوخ بغيا منهم سببه في الاكثر الحسد ، وفي الاقل سوء الظن في رجل مستقل الفكر في العلم ، يستدل فيحكم بالنفي او الاثبات ، وقد قرأ الفلسفة ولازم السيد جمال الدين . واذا لم يكن العالم العاقل المدلي بالحجة فيما يأخذ ويترك ، ظنينا في دينه ، متهما في عقيدته ، مهما يكن من صلاحه واستقامته ، فلى من توجه التهم ، من هؤلاء الجامدين الذين لا استقلال لعقولهم في علم ولا عمل ؟

لكل الرجل على ما أوذي في الله من أول ظهور فضله ، الى يوم لقاء ربه — لم ينل أحد بعض ما نال من الاحترام عند أمم الشرق والغرب ، وعند جميع الطبقات من قومه ، في حياته وبعد مماته ، فقد كان طلاب الاصلاح العلمي الديني ، وطلاب الاصلاح المدني ، وطلاب اصلاح الحكومة ، على مذاهب فيها ، وكل منهم يعده اماما وزعيما للامة فيما يرجوه ويطلبه لها ، وقد صرح بهذا اصحاب المقتطف والمقطم في ترجمتهم له عند وفاته ، فهو قد وصل باجماع الطبقات والفئات المفكرة على علمه وفضله الى مقام الزعامة الذي كان يرجى أن يزيل به الخلاف بين الدين وأهله ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبين العلم العصري والمدنية ورجالها ، ففقدته مصر وسائر بلاد الشرق في أشد أوقات حاجتها اليه ، ولكنها انما فقدت شخصه ، ولم تفقد رأيه وهديه ، وتمسكات الى عهد وفاته لم يكمل استعدادها للنهوض معه ، ولذلك كان يقول : روح الرجل الذي ليس له أمة ،

حقا إن اتفاق كلمة الاحزاب المختلفة من طلاب الاصلاح الديني والمدني على زعامة هذا الامام ، جدير بأن يعد من خوارق العادات ، فهو على ما كان معروفا به من قوة التدين والغيرة على الاسلام ، والاجتهاد في الاصلاح الذي يرتفع به شأنه — كان محل رجاء غير المسلمين من علماء الشرق ورجاء من لا يشغل الدين محلا من قلوبهم ، بأنه هو الرجل الذي يمكن أن يقود نهضة الشرق — كما قال الدكتور صروف ، وكذا غيره من أدباء النصارى — (كما يعلم من أقوال بعضهم في تأبينه ورثائه التي نشرناها في الجزء الثالث من تاريخه)

وانني أبين هنا بالكتابة ماضاق الوقت عن بيانه في الحفلة من سبب ذلك ، وهو أن أكثر أهل الشرق الادنى مسلمون معروفون بشدة الاستمساك بدينهم ، وقد حال سوء فهمهم للاسلام دون مجاراتهم للشعوب العزيزة القوية في مضمار العلوم والفنون والثروة والحضارة ، حتى ساء ظن بعض المفكرين فيه ، وظنوا انه هو المانع من الترقي من حيث هو باعث عليه ويتعذر إنهاض الشرق بدونهم . وانهاضهم بدون اصلاح ديني يتفق به الدين مع العلم والحضارة ، ويعلم به ان العقيدة الاسلامية ، لا تنافي الوحدة الوطنية ، لذلك شهد اورد كرومر بأن الحزب الاسلامي الذي كان زعيمه الشيخ محمد عبده هو الحزب الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد العتيقة الذي يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفرنجين المارقين من الدين وانه هو الحزب الذي يرجى أن تنهض به البلاد

وقد سئل اللورد عن الشيخ هل كان متساهلا في الاسلام؟ فقال: بل هو متعصب له أو فيه ولكن بعقل

ذكر خطيبنا الاستاذ الشيخ مصطفى ماتوجهت اليه همة الاستاذ الامام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخيراً من بناء قواعد الاصلاح كلها على التعليم وتربية الامة ، وأزيد عليه أن أهم أركان التربية عنده تربية الارادة التي يتوقف عليها كل اصلاح وكل نهوض وأكتفي في هذا الوقت الضيق بكلمة واحدة له فيها

قال لي مرة : والله لو أن في مصر مئة رجل لما استطاع الانكليز أن يقيموا فيها أو لما استطاعوا أن يعملوا فيها عملا — ان عندنا مئين وألوفاً كثيرة من المتعلمين الذين يستطيعون القيام بالاعمال المختلفة في جميع الوظائف ولكن أكثرهم ضعفاء الارادة لا يرجى منهم شيء

(وههنا ناشد الخطيب صديقه الشيخ علي سرور الزنكلوني بأن يختصر ويدع له وقتاً يقول فيه كلمة، فختم كلامه بالتنبيه الى إحياء مبادىء الاستاذ الامام)

*

كلمة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني

أحد علماء الازهر

أيها السادة : إن اللجنة المحترمة لم تبح لي في ضمن قراراتها القول مع القائلين في هذه الحفلة المباركة لضيق الوقت وكثرة الخطباء ولكن أبى الله الا أن يتسع لي الوقت فأقول كلمتي في إمام لي شرف الانتساب اليه . وقد أرى من الغبن أن أحرم الحديث عنه في مثل هذا اليوم . وقد أذنت لي اللجنة الآن . وأنا على غير عدة فأشكرها على هذا التساهل العظيم

أيها السادة : ان الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده كان آية من آيات الله تعالى، فقد مضى على مفارقته لهذه الحياة سبعة عشر عاما تقريبا والامة لم تحتفل باحياء ذكره . وليس من المعقول أن تبرز الفكرة في هذا اليوم واضحة جلية والامة منها في شوق ولها على استعداد تام كما ترون ولا يكون المحتفل به آية من آيات الله

إن آيات الله تعالى الثابتة في الكون مهما طال عليها العهد لا بد أن ترجع إليها العقول المتحيرة لتستنير بها في المستقبل، لانها لم تخلق خلقا عاديا يتناسى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمجرد مفارقته للحياة الاولى ، ولكنها تبرز للوجود في إمداد خاص فينتفع بها الآخرون ، كما انتفع بها الاولون ،

أيها السادة: ان إحياء ذكرى الاستاذ الامام بعد مضي هذه المدة يعد فألا حسنا في حياة مصر، و بشرى يترقب من ورائها النصر والظفر، اذ الامة التي تستظلع آيات الماضي في أوقاتها العصيبة لتسترشد بها في حياتها المستقبلة، لهي الامة التي قويت عقليتها ونمت حياتها ، واذاً لا ضير عليها ولا خوف مهما تلون فيها العذاب، واشتدت بها الخطوب

إن الاستاذ الامام لا بد أن يكشف المستقبلُ القريب للامة عن حقيقته الواقعة والواضحة في نفوس أصدقائه وطلابه

ان الاستاذ الامام قد أجمع اصدقاؤه وأعداؤه معا على أنه نابغة من نوابغ عصره، وان اختلفت أنظار الفريقين في مدرك جهة النبوغ ، وعندي أنه مع نبوغه وتفوقه على أقرانه في كثير من مسائل الوجود المعروضة على البحث . هو عبقري من كبار العبقريين في نظرياته الدينية التي ليست لها صورة واضحة في دين الاسلام[1] وخصوصا فيما يتعلق بالعلم ونظام التعليم

أيها السادة : ان أكبر آية تدل على عظمة الاستاذ في نفوس الامة ازدياد تعلق القلوب به بلا سبب عادي يحال عليه ذلك التعلق وراء الفضيلة المجردة والنبوغ والعبقرية ، لانه وان كان رجلا سياسيا ومدنيا ، الا أن السياسة لم تكن من مظاهره الواضحة ، بل كان مظهره الحقيقي والرسمي أنه رجل ديني من كبار علماء الدين ، وليس الدين في مصر عوامل قوية تحيل عليها تفكير الناس في احياء ذكره ، بل الدين كما ترون ذابل في جو الفساد المنتشر الذي يتتبع الحق والفضيلة انتزاعا ، ولو أن الاستاذ الامام كان مظهره سياسيا لما بلغ منا العجب مبلغه اذا فكرت الامة بعد هذا الزمن الطويل في احياء ذكره، لان الحياة السياسية فتية في العالم ، ونامية ملتهبة ، متمشية مع العواطف ، ومتغلغلة في نفوس الخاصة ، والجماهير ترتكز على أقل الاسباب

(١) هذه الكلمة مجملة مبهمة يجلي ما بعدها بعض ما فيها من الاجمال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها السادة : ان الاستاذ الامام قد كان محبوبا عند الخاصة وكانوا في زمنه قليلين ، وكان مصادرا من الجماهير تبعا لمصادرة رجال الدين له، وقد افترق العقلاء في كل فكرة تصادفها المعارضة على فرقتين : هل الحق مع الاقلية أو الاكثرية؟ وعندي أن المسئلة واضحة لا تحتاج الي احتدام الجدل وتشعب الآراء

إن الحق يكون مع الاقلية دائما اذا كانت الامة سائرة في حياة تقليدية مضى على العمل بها زمان طويل فتحكمت في النفوس، سواء أكانت الحياة دينية أم مدنية ، والامة في دور جهالتها ، ثم جاءها رجل من أبنائها أو من غير أبنائها وله عقلية راجحة ، وشخصية واضحة ، فدعاها الى الاصلاح بالحجة والبرهان ، ولفتها الى دلائل الحياة الصحيحة ونماذجها، فصادمته ولم تذعن له بادئ ذي بدء للوهم الا النزر القليل ، لان عقولها محصورة في دائرة حياتها الموروثة ، ومن الصعب أن تتخطى تلك الدائرة بسهولة، قبل أن يصادفها شيء من التهذيب بالتجربة والتعليم ، ففي هذه الحالة يكون الحق دائما مع الاقلية . وعلى هذا النحو كانت حياة الانبياء وكبار المصلحين ، وقد كانت معارضة الاستاذ الامام من هذا القبيل

وأما اذا نزل بالامة حادث ديني أو مدني فاصطدمت به العقول واحتدم فيه الجدل، وانقسم المفكرون الى قسمين، تبع الجمهور فيه أحد الفريقين ، فالحق في تلك الحالة بلاريب مع الاكثرية ، خصوصا اذا كانت الاقلية بجانبيها القوة المجردة، لان الجمهور لا يرى الا في طريق الامارات الظاهرة ، والدلائل الواضحة ، البعيدة عن المخاوف. والبريئة من الظنون والشكوك، وليس الجمهور في تلك الحالة سائراً بعقليته الساذجة، وانما هو تابع من جهة لطائفة من المفكرين قد أنارت له الطريق، ومنساق من جهة اخرى بما أودعه الله في فطرته السليمة من الاستعداد لقبول الحق بسرعة ، وهي الفطرة القوية التي نصر الله بها الانبياء والمرسلين

أيها السادة : ان تبعة إهمال ذكرى الاستاذ الامام في هذه المدة الطويلة لا يجوز أن تلقى على عاتق المعاهد الدينية فان هذا النوع من الحفاوة لم يكن معروفا لهم، ولا مألوفا عندهم ، وقد أدوا للاستاذ الامام كبر ما يعرفون من الحفاوة والذكرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالترحم عليه كلما ذكروا الاستدلال بأقواله اذا أظلم عليهم الامر، والتمسك بمبادئه والنهوض في سبيل تعليمه وارشاداته، حتى إن مذهبه ليزداد انتشارا في كل يوم، خصوصا بين الطلاب. وان المعاهد الدينية بفضل ارشاداته سائرة في طريق الرقي والاصلاح الذي كان ينشده رحمه الله تعالى. فالحمد لله على نعمة التوفيق والسلام

علي سرور الزنكلوني — من علماء الازهر

بهذه الكلمة انتهى ما قيل في الحفلة وانفض على أثرها الاجتماع

بعض ما أرسل الى اللجنة من منظوم ومنثور

قصيدة قديمة

﴿ لصاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية ﴾

لما ولي الاستاذ الامام إفتاء الديار المصرية نظم الاستاذ الفاضل الاديب الشيخ عبد الرحمن قراعه (مفتي الديار المصرية) لهذا العهد قصيدة بليغة هنأه بها. وهذا الاستاذ يفتخر بأن الامام قد أجاز قوله له مرة: إنه أصغر اخوانه. واكبر أولاده. ذلك بأنه حضر معه دروس بعض شيوخه ومنهم السيد جمال الدين وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب. وقد نشرت تلك القصيدة في المجلد الثاني من المنار. وقد نسخها الاستاذ احمد زكي باشا لتقرأ في الحفلة لقوة المناسبة التي لا يغفل عنها الباشا. وهي أن هذا الاحتفال لاحياء ذكرى مفتي الديار المصرية. ويرأسها خلفه في افتاء الديار المصرية فناسب أن تتلى فيه قصيدة لخلفه في إفتاء الديار المصرية. ولكن الوقت لم يتسع لانشادها ولابداع احمد زكي باشا في شرح هذه المناسبة لها فاقترح على اللجنة أن تنشرها فيما تطبعه من بيان احتفالها. وهي

يهديك في الفتوى الى الحق مهتدي ... ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجتدي

سمت بك للعلياء نفس ابيّة ... وعزمة ماض كالحسام المجرّد

ورأي رشيد في الخطوب وحنكة ... وتجربة في مشهد بعد مشهد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلم كنور الشمس لم يك خافيا ... على أحد الا على عين أرمد
فضائلُ شتى في الافاضل فرقت ... ولكنها حلت بساحة مفرد
ولو جاز تعدادي لها لعددتها ... ولكنها جازت مقام التعدد
ففيم أطيل القول والشعر قاصر؟ ... وماذا بقولي ويفي تزيدي؟
أمولاي يا مولاي دعوة مخلص ... تقول فيصغى أو تؤم فيقتدي
لكل زمان من بنيه مجدد ... لما أبلت الا هواء من دين أحمد
وقد علم الاقوام أن محمدا ... مجدد هذا الدين في اليوم والغد
يمينا بمن بالفضل خصص (عبده ... محمدا) الداعي لهدي محمد
وقلده عقدَ الفتاوى فأصبحت ... تتيه به الفتيا بخير مقلد
لتخترقنّ الحجب بالرشد الهوى ... وتبني منارَ الحق بالفكر واليد
فتوضح من إشكاله كل غامض ... وتفتح من أبوابه كل موصد
اليك أزف المدح شعرا مقصدا ... على بعد عهدي بالقريض المقصد
لابلغ نفسي بامتداحك سؤلها ... وأقضي حقا لم يكن بمجدد
فجاء على قدري ولكن شافعي ... لدى قدرك السامي نبالة مقصدي
وهنأتُ نفسي ثم هنأتُ معشري ... وهنأت أوطاني بما نال سيدي
وقلت لمصر هنئيه وأرخي ... (بهديك في الفتوى الى الحق نهتدي)

٤١ ٩٠ ٥٢٧ ٤١ ١٣٩ ٥٦٩ سنة ١٣١٧

لقد سبق التاريخ عشرا فلم أجد ... من الياء بَدًّا بعد طول تردد
فزدت كما أبغي ومن يُلف مخلصا ... من النقص يطلب للكمال ويزدد
فلا زلت يا مولاي فينا محسدا ... وحاسدك المغبون غير مُحسَّدِ

نشرت في مجلة « المنار » الاسلامية عدد ٢٤ سنة ١٨٩٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمد عبده

﴿ للشاب النجيب محمود افندي كامل [1] ﴾

﴿ نجل الاستاذ العالم العامل، محمد علي بك كامل المحامي الشهير ﴾

في مثل هذا الشهر من سبعة عشر عاما مضت رشق الدهر قلب مصر بسهم أدماه. وهبت عواصفه على أهل الكنانة فأثارت لوعتهم. وتركت في كل دار مأتما، لم يشفق — أجل لم يشفق ذلك الدهر الغلّاب على أبناء مصر فأخذهم على غرة.

اختطف من بين أحضانهم أبا هم الحنون — وهم فرحون بالنظر اليه، جذلون لقربهم منه — فقلب أفراحهم أتراحا، وبشرهم عبوسا. اختطف أمهم الرؤوم التي كانت ترضعهم من ثديها أفاويق رنقها الكمال، واكتنفها الجلال

اختطف قائدهم الذي كان يرفع — وهو في مقدمتهم — نبراس الحق لينير لهم الصراط المستقيم فلا يضلوه

اختطف الحكيم الوقور، الفيلسوف القدير، الشهم الهمام، الاستاذ الامام، الشيخ (محمد عبده)

ان لموت العظيم — خصوصا اذا كان كفقيدنا وفي ظروف فقيدنا — من الاثر في نفوس قومه مايقف قلم أقدر الكتاب عن أن يسطر وصفه، ويعجز أفصح الخطباء عن ايفائه حقه. حزن شامل يعم الامة ويضع غشاوة كثيفة تحجب عن الابصار الافراح. وتنهدات تخرج من أعماق نفوس مكتومة، وحسرات تختلج في قلوب دامية وأكباد حرّى، وأفكار سوداء صامتة، تتخيلها الافئدة المكلومة، ونظر الى العالم كأنه ضاق على رحبه. وشعور بالوحدة، وحاجة الى العزلة — هذا ما كان يشعر به أولئك الشجعان الذين حضروا موت عظيمنا —

« ١ » لهذا الشاب الفضل الاول في القيام بالاحتفال بذكرى الاستاذ الامام لانه اول من ذكر به ودعا اليه على صفحات الجرائد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أجل أسميهم شجعانا ولا أكون مغاليا ، لانهم صبروا على تحمّل تلك الكارثة العظمى ، والمصيبة الكبرى — وهذا مانشعر به نحن الآن وقد قمنا لاحياء ذكرى ذلك الراحل الكريم الذي خرج من صدفة مصر فصار درّة يتيمة في تاج الشرق تخطف الابصار وتلقي الهيبة في القلوب .

ليتني كنت في أيامه أقتفي آثاره ، وأترسم خطواته ، أرتشف من منهل علمه العذب ، وفضله الفياض ، أتخذ من أعماله عظة وعبرة تكون لي درسا في حالي واستقبالي . أنصت الى عظاته البليغة فتكون على نفسي برداً وسلاما . أقصده اذا التبس علي أمر فيستبدل شكي باليقين . أجتهد أن أشابهه فأسمو نفساً وعلماً وخلقاً .

إننا نجله ونجل فيه كل شيء — نجل أنفته ونفسه العالية — نجل اقدامه وصبره وجلده — نجل كماله وورعه وتقواه — نجل غيرته وهمته الشماء — نجل أمانته ونزاهته وشهامته — نجل قيامه بالواجب على الوجه الاكمل — نجل عبقريته التي تطأطئ لها هامات أكابر العلماء الافذاذ — نجل وطنيته الحرة — تلك الوطنية التي كانت تعمل وهي صامتة .

« ان فناء في الحق لهو عين البقاء » كلمة مأثورة خرجت من فم ذلك العظيم فكانت من جوامع الكلم ، كلمة انطبقت على نفسه الكريمة تمام الانطباق ، كلمة ياحبذا لو عرف معناها الدنيويون وتشربت بها نفوسهم .

نعم قمنا بعد سبعة عشر عام ننشر للملأ آية سافرة من اخلاص وولاء ذلك الرجل لوطنه ودينه ، ومثلا حيا للعبقرية الشرقية والنبوغ المصري ، وخير مثال للعظمة يحتذي مثاله طلابها ، ويتخذه قدوة عشاقها .

فسلام على تلك الهمة الوثابة التي كتم القبر أنفاسها ، وكبح الثرى جماحها .

سلام على تلك السجايا التي تأصلت جذورها في نفسه فلم يقدر على اقتلاعها إلا الموت .

سلام على تلك الروح الطاهرة التي ترفرف الآن في سماء الخلود .

سلام على تلك العبقرية التي ظهرت ظهور الشمس تبدد فلول الظلام .

سلام على تلك الهبة الكتابية ، والميزة الصحفية ، التي وقفها على تقويم اعوجاج أمته والاخذ بيدها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلام على تلك الهيبة والمكانة الرفيعة ، والمنزلة السامية ، التي لم تحدث في نفسه أيّ إعجاب أو كبرياء

سلام على ذلك الشعاع الوهاج الذي كان يؤثر في القلوب ويكبل الارادة فحجبت ظلمة القبر لمعانه ،

سلام على ذلك المجد الطريف . والسؤدد المنيف ، والعزة والوقار .

سلام على ذلك الايمان الراسخ ، والعقيدة الثابتة والصلاح والورع .

سلام على ذلك الضمير الحيّ الذي عرف الواجب فأداه ، والجميل فأولاه .

سلام على ذلك الوجدان الراقي الذي كان ينبض لبؤس الناس ويفرح لفرحهم .

سلام على من كان للاسلام علما فانطوى ، وللوطنية نصيراً فانزوى .

سلام على سعادة زائلة ذاق حلوها بعضنا ثم ذهبت فأصبحت أثراً بعد عين .

سلام عليه مادام فينا عرق ينبض ونفس تشعر

﴿ التسمية باسم الاستاذ الامام ﴾

في المغرب الاقصى

جرت عادة البشر في جميع الامم بان يسموا أولادهم باسماء عظماء الرجال حبا بذكرهم ، وتفاؤلا باقتداء هؤلاء الاولاد بهم ، وقد قرأنا بجريدة السعادة في العدد الذي صدر منها في رباط الفتح من بلاد المغرب الاقصى بتاريخ ٢٧ ذى الحجة الماضي تحت عنوان (محمد عبده الثاني) ما نصه :

« بشر صديقنا العضو الرئيسي بالمحكمة العليا الفقيه السيد عبد الحفيظ الفاسي بولد ذكر سماه على بركة الله (محمد عبده) تذكارا لاسم الشيخ محمد عبده المصري عظيم علماء الاسلام . فنعم الولد ونعم التذكار لذلك الرجل العظيم (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

---

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوثائق الرسمية للمسألة العربية

﴿ عود على بدء ﴾

﴿ المكاتبات بين أمير مكة بالامس وملك الحجاز اليوم ﴾

﴿ وبين نائب ملك الانكليز بمصر ﴾

لا يزل جمهور المشتغلين بالسياسة من عرب الاقطار السورية والعراقية ومصر يجهلون أسباب الثورة التي قام بها أمير مكة بمساعدة بعض السوريين والعراقيين — لانه كان يكتم مادار بينه وبين معتمد الدولة البريطانية في مصر وما اتفقا عليه حتى عن أولاده قواد جيوشه ، وانما كان يمنيهم بأن الذي تقرر واتفق عليه الفريقان هو استقلال جميع البلاد العربية العثمانية وجعلها مملكة عربية حرة له ! وقد ظهر بعد ذلك ان ماعرضه على انكلترة قبلت بعضه بقيود وشروط — يجعل البلاد تحت حمايتها في الداخل والخارج

وقد كان جميع أنصاره وأنصار أولاده الامراء موالين للدولة البريطانية الى ان انكشف الغطاء وظهر ما كان من اتفاقها مع فرنسة على قسمة الولايات العربية بينهما من حدود مصر والبحر الاحمر الى خليج فارس ، واحتل كل منهما حصته وتصرف فيها تصرف الملاك فيما ورثه عن آبائه وأجداده من الارض — فعند هذا رجع بعضهم عن موالاتها ، وتعليق الآمال بها دون بعض .

ثم نشر الامير فيصل في دمشق نص المعاهدة التي أخذها من والده ليحتج بها على الحكومة البريطانية وظهر منها أنها تتضمن حمايتها لجميع البلاد العربية التي طلب استقلالها ليكون ملكها ، فخابت آمال أناس آخرين وسكتوا عن التبجح أو الاحتجاج بذلك العهد أو الوعد — ولكن لا يزال لهم أنصار يتولونهم ويتولونها ، وأنصار يتولونها من دونهم وآخرون يتولونهم من دونها ، ولا يزال فيهم من يطالب الدولة البريطانية بما تطالبها به جريدة القبلة بالاقوال الرسمية وغير الرسمية بأن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفي بعهدها، وتنجز وعدها لملك الحجاز بل لملك العرب كلها، ومن العجائب أن يكون كثير من أهل فلسطين من هؤلاء الاولياء الذين يسمون ملك الحجاز « بالمنقذ » وانما أنقذهم من حكم الدولة العثمانية، الاسلامية، الرحيمة، المساوية بينهم وبين الترك في كل الحقوق — ووضعهم بثورته تحت حكم سيطرة الدولة البريطانية، والشيعة اليهودية الصهيونية، ولا يزال يوجد فيهم من يظن أن وفاء الدولة البريطانية بوعدها ينيلهم الاستقلال، كما يظن أولياؤه في سورية الشمالية أنه ينقذهم من فرنسة، ولو بجعلهم تحت انتداب انكلترة أو حمايتها، وان كانوا لا يجهلون ان انتدابها كان شراً على فلسطين من انتداب فرنسة على سائر سورية، فان كان الضغط على العراقيين دون الضغط عليهم، فسببه ان حال العراقيين كانت خيراً من حالهم، وانما تنال الشعوب باستعدادها وأعمالها، لا بأمانيها وأقوالها

ندع هؤلاء الاغرار يتخبطون في غرارتهم وغرورهم الى أن يعلم الزمان من كان قابلا للعلم ويربي من كان قابلا للتربية، ونساعد الزمان على ذلك ببيان ما نمحص من الحقائق، ونشر ما نعلم من البينات والوثائق، لتكون عبرة للمعتبرين، وحجة على الجاهلين والمكابرين،

كلما دخلت مسائل الشرق في طور جديد نرى المتكلين على صاحب الحجاز وأولاده من السوريين — ولا سيما الفلسطينيين منهم — عادوا الى نغمة المعاهدة بين الملك حسين والانكليز يطالبون بها، ويزعمون ان الملك حسينا وضعها وأمضاها باسم الامة العربية لا باسمه وحده، ونسأله تعالى أن يكفي هذه الامة العربية شر تلك المعاهدة التي يريدون استعباد الامة العربية بها

ألا أيها النائمون أفيقوا، ويا أيها المخدوعون بأقوال العائشين من فضلات آكلي أثمان امتكم وبلادكم تنبهوا، قد آن لكم أن تعلموا ان تلك القصاصة من الورق التي يسميها الملك حسين (مقررات النهضة) ويسميها الناخون ببوقه المعاهدة الانكليزية العربية، هي وثيقة من الملك حسين بجعل البلاد العربية كلها حتى الحجاز تحت حماية الحكومة البريطانية في داخلها وخارجها، وتنص على اعطائها الحق باحتلال ولاية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البصرة لتأمين السيطرة على العراق ، فيجب على كل عربي مخلص لأمته و بلاده أن يرفضها ، و ينكر أن يكون لواضعها أدنى حق في وضعها ، والاقتيات على حقوق مسلمي الارض في الحجاز، وحقوق زعماء الامة العربية في الجزيرة وسورية والعراق، بوضعه هذه الوثيقة الموجبة لاستعبادهم، وتصرف الانكليز في بلادهم

هذه المقررات هي التي نشرها الامير فيصل قائد الجيش الشرقي لدول الحلفاء يوم نشرها ـ وملك العراق اليوم في جريدة المفيد ونشرناها في المنار نقلا عنها. واننا نعيد اليوم نشرها، مع الوثائق الاخرى المتعلقة بها، التي أشار الملك فيصل الى ان الإنكليز اعترفوا بها ، ولم يعترفوا بوجود معاهدة وهذا نصها بالمعنى الصحيح الذي كتبه والده :

﴿ صورة ماتقرر مع بريطانيا العظمى ﴾

﴿ بشأن النهضة العربية ﴾

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقا من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ماعدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود. وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها في رعايته وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأيّ صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حضن بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ماهو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها (انتهى)

*

(المنار) — هذا ما كتبه الملك حسين بن علي اذ كان أمير الحجاز من قبل الدولة العثمانية الى السر هنري مكماهون ليعرضه على دولته ويقنعها بأن ترضى بجعله الاساس الذي تبنى عليه ثورة أمير مكة على دولته ، وملخصها ان انكلترة هي التي تؤسس الحكومة العربية وهي التي تتولى حمايتها وحفظ حدودها وحفظ الامن فيها للاعتراف بأنها قاصرة في حجر انكلترة القيمة عليها !! . ولكن دولته لم ترض بجعل هذه القواعد معاهدة بينها وبين أمير مكة ، بل طفق مندوبها السامي بمصر يناقشه فيها ، ويلهيه عن المهم منها ، وكلما اعترف لهم بشيء اتخذوه حجة عليه يحفظونها الى وقت الحاجة ، وأعظم حججهم عليه جعل جميع البلاد العربية تحت حمايتهم

وقد نشر الملك فيصل بعض ماجاء في أحد كتب السر هنري مكماهون الى والده بشأن الحدود ، وقد آن لنا نحن أن ننشر النصوص التي يهمنا أمرها من تلك الكتب لان ما نشر لم يكف لازالة اللبس ، وكشف القناع عن الغش ، وما لنا لا ننشرها وقد تداولتها الايدي في الشرق والغرب ؟

أرسلت تلك (المقررات) من مكة الى مصر في ضمن كتاب للسر هنري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكماهون في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ . وهاك ما أجابه في أول كتاب بعدها

الكتاب الاول

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة في شأن الثورة الحجازية ﴾

﴿ في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ ﴾

كتاب من السر أرثر مكماهون نائب ملك الانكليز بمصر

في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسيب النسيب سلالة الاشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة المحمدية، والدوحة القرشية الاحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل دولتلو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين، ومحط رحال المؤمنين الطائعين، عمت بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانكليز. والعكس بالعكس. ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال نخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضحاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة

وأما من خصوص مسئلة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لاوانها، وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولان الاتراك لا يزالون محتلين لاغلب تلك الجهات احتلالا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعليا، وعلى الاخص ماعلمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مديد المساعدة الى الالمان والاتراك نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان، وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك. ومع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا، مستنشقين رائحة مودتكم الذكية، ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا. وفي الختام أرفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي، وفائق احترامي ؟

المخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيما سماه (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالي: —

كتاب ثان

من نائب الملك السر أرثر مكماهون الى الشريف حسين

في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة المحمدية، وسلالة النسب النبوي، الحسيب النسيب، دولة صاحب المقام الرفيع، الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا، جعله الله حرزاً منيعاً للاسلام والمسلمين، بعونه تعالى آمين

وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة وأخلاصكم ما أورثني رضاء وحبورا. اني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط — ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فاني قد أسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم واني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول

ان ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (؟؟) بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا (؟) فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموافيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاوربا ويين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة

وانني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة (؟) دائمية ثابتة معهم، ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية الكبرى وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا تعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة. ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم

اني لمرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف ابن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي في الدرجة الثانية من الاهمية ولم اذكرها في كتابي هذا. وفي الختام أبث دولة الشريف، ذا الحسب المنيف، والامير الجليل، كامل تحيتي، وخالص مودتي، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد اسرته الكريمة، راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم، وصالح الشعوب. إن بيده مفاتيح الامر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام ؟

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب بجواب يعترف فيه بأن ولايتي مرسين وأدنه ليستا داخلتين في حدود البلاد العربية التي يطلبها ويقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت الى ما بعد الحرب، ويقر المعاهدات المجهولة التي بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب حتى من كانوا منهم في المملكة العربية التي هي موضوع المساومة بينه وبينها وقد اعترف لها بالانفراد بالنفوذ فيها. فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتاب ثالث

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاخر، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني مارأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأضنه من حدود البلاد العربية . وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين — التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء . هذا وفي قولكم: ان العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لاتستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ماذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة . ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرانسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة واننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا كل مجهوداتكم في جمع كلمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على أن لايمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأي وجه كان . فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند مايجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته . وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لاتنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك

هذا وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين الف جنيه

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية، وخالص التسليمات الودية، مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير أرثر هنري مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكرا راضيا واعدا بالقيام بجمع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر والاقوات . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي :

كتاب رابع

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحتد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظمة زاده الله رفعة وعلاء آمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد مايليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية أرفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وأنها لموافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم[1] وان كل شيء رغبتم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقع التي يقتضي سوقها اليها والوسائط التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكللها بالنجاح وحسن النتائج؟ وسيعود الى بورت سودان وبعدها يصلكم بمراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ماربما لم يكن واضحا لديكم أو ماعساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز أو النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب[2] يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى انه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب الابرياء الذين يسكنون تلك الجهات لاننا لانقدم للعرب أجمع الا كل عاطفة ودية . وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الامر اذا بلغتم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرنا الى عمل من هذا القبيل

(١) المراد بهذه المطالب الاسلحة وعتاد الحرب (٢) لعله سقط من هنا ذكر من وصفوا بانهم يجاهرون بالعداء للانكليز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالداء باذلون جهدهم في اعمال السفن ليبثوا بها الالغام في البحر الاحمر ولالحاق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة إخبارنا اذا تحقق لديكم ذلك

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قدباع للاتراك عدداً عظيما من الجمال وقدأرسلت الي دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ماهو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ولاشك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة

وقديسرني أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحداناً وجماعات يطلبون العفوعنهم والتودد اليهم وقد والحمد لله هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم . وان لسقوط أرضروم من يد الاتراك وكثرة انهزاماتهم في بلاد القوقاس تأثير عظيم (؟) وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم . ونسئل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح، وأن يمهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لايزعزعها كر العصور ومرور الايام

كتبه المخلص

السير أرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

(المنار) نلخص هذه الكتب ونرتب ما تقرر فيها بالمسائل الآتية :

(١) إن الحكومة البريطانية تستثني من بلاد العرب بالنص معظم سورية وهو سواحل ولايات كليكية وحلب والشام وبيروت، فتكون سورية العربية محصورة في المدن الاربع دمشق وحمص وحماه وحلب وملحقاتهن ولا منفذ لشيء منها الى البحر الا فلسطين المسكوت عنها

(٢) إنها تزعم أنها مطلقة التصرف في الاقاليم التي تضمها تلك الحدود من بلاد العرب بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسة، أي فيما تقرر بينهما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من حصتها في سورية . والمعنى انها بما لها من حق التصرف في غير حصة فرنسة من البلاد التي حددها الشريف تقرر ماذكرت من الحقوق لها وله . ولا ندري من أين لها هذا التصرف المطلق في هذه البلاد ؟ وبأي حق اعترف لها الشريف به؟

(٣) تزعم أن العرب يعترفون بأن مركز بريطانية ومصالحها موطدة في ولايتي البصرة وبغداد ويستلزم ذلك أن تكون ادارتها بيد انكلترة وتحت حمايتها

(٤) تضمن حماية الاماكن المقدسة من كل اعتداء . وهي تفسر البلاد المقدسة بالحرمين والقدس وكربلاء والنجف وتفسر حمايتها لها بما تشاء من الوسائل ومنها ايجاد قوى عسكرية من سلاح الطيران وغيره

(٥) تزعم أن العرب قد قرروا أن يكون المستشارون والموظفون الذين يؤلفون الهيئة الادارية في بلادهم من الانكليز، لان الشريف رضي بذلك

(٦) تشترط عدم التعرض في هذا الاتفاق المطلوب للمعاهدات المعقودة بين الانكليز وبعض رؤساء العرب ، يعنون أكثر بلاد الجزيرة كالحجاز وحضرموت ونجد وعسير وبعض قبائل العراق

(٧) تقول إنها مستعدة مع مراعاة هذه التعديلات التي تسجلها على شريف مكة ومن يمثلهم من العرب بدعواهما لأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد هذا الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة. أي إنها بعد هذه التعديلات التي معناها أن جميع بلاد العرب في قبضة تصرفها مستعدة للاعتراف باستقلال مبهم في مكان مبهم، والاستعداد للاعتراف بالشيء لا يقتضي الاعتراف به بالفعل، والاستقلال المجمل لا ينافي الحماية ولا الوصاية ولا ما يسمونه الانتداب كما صرحوا به رسميا

(٨) تقول ان هذا التصريح يؤكد ميل بريطانية لرغائب أصحابها العرب (أي لاستعبادهم) وينتهي بعقد محالفة يكون أول نتائجها طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير العرب من نيرهم — أي لوضعهم تحت نير الانكليز الذي يفوقه في الثقل، كما يفوق الجبل الجمل

(٩) تعد بأنها عند ما تسمح لها الظروف تساعد العرب على ايجاد هيآت حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة من بلاد العرب وهي الحجاز وفلسطين ويتعهدون بحمايتها وطرد الترك منها وليس في شيء من كل هذه الوعود حجة عليها للشريف الا في مسألة فلسطين اذ جعلت البلاد وطنا لليهود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدنية القوانين

وسعي المتفرنجين لنبذ بقية الشريعة وهدم الدين

(٣)

سبب حرب متفرنجة المسلمين للاسلام

ان خواص الامم وقادتها هم أهل العلم الذين يتبعهم السواد الاعظم من العوام في أمور دينهم ودنياهم كالتعليم والارشاد، وشؤون الحكومة من سياسة وادارة وقضاء وحفظ للامن ودفاع عن الوطن. وكل ماتحتاج اليه الامة في حفظ مصالحها الدينية والدنيوية من علم وعمل فحكم الاسلام فيه أنه واجب شرعاً، ولم يكن للدول الاسلامية التي أسسها خلفاء الاسلام في جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وغيرها من آسية وأفريقية وأوربة (كالاندلس) علم يستمدون منه أحكام الادارة والسياسة والقضاء والحرب الا الفقه الاسلامي المبني على قواعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين وهدي السلف الصالحين، وكان كافياً لذلك في عصورهم، ولا يزال كذلك ولن يزال اذا سلك المسلمون فيه طريق الاجتهاد الذي سار عليه سلفهم

ثم ضعفت الحضارة الاسلامية بضعف دولها بضعف هداية الاسلام فيها، ثم قويت حضارة أوربة واعتزت دولها وارتقت علومها وفنونها، ونظمها وقوانينها، فمكنتها هذه القوى من السيادة على أكثر ممالك الاسلام، وكانت هذه السيادة ضروباً لها أسماء ورسوم يمتاز بها بعضها عن بعض، وانتشر بعض علومها وقوانينها في هذه الممالك تابعاً لتلك السيادة في بعض البلاد ومتبوعاً أو ممهداً لها في بعض، وكثرت المدارس الاجنبية فيها من قبل دعاة النصرانية الاوربيين والاميريكيين لنشر تلك العلوم والقوانين مع الدعوة الدينية، وقلدتها بعض الحكومات الاسلامية المستقلة بالاسم وبالفعل في مناهج التعليم ومواده، وتلا ذلك اقتباس قوانينها والتشبه بها في عاداتها وأزيائها وغير ذلك، فعظمت سيطرة هؤلاء الاجانب على العقول والقلوب بتصرفهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في تربية النشء وتعليمه تصرفاً قصد به قطع جميع روابطه الملية والقومية وجعله عالة عليهم في كل شيء

اذا كان هؤلاء الافرنج قد عجزوا عن تنصير المسلمين بمدارس جمعياتهم الدينية فانهم لم يعجزوا عن ابطال ثقة الكثيرين منهم بدينهم الذي هو مستمد فضائلهم وآدابهم النفسية والاجتماعية لتصبح الامة المكونة منهم لا فضيلة لها في نفسها ولا آداب — وابطال ثقتهم بشرعهم العادل الذي هو أساس حضارتهم ومجدهم، والمكوّن لدولهم التي هي مناط شرفهم التاريخي لتكون الامة المكوّنة منهم لا مجد لها ولا تشريع ولا تاريخ — وابطال ثقتهم بلغتهم، الحافظة لشرعهم وآدابهم وتاريخهم وحضارتهم لعدم شعورهم بالحاجة اليها بفقد الشعور بالحاجة الى ما تحفظه من ذلك، وتوجه هممهم الى استبدال شرائع أساتذتهم وآدابهم وحضارتهم ولغتهم — بما كان لسلفهم من ذلك ، أي ليخرجوا عن كونهم أمة ذات مقومات ومشخصات مستقلة فيفقدوا أعظم أركان الاستقلال القومي، ويكونوا كاللقيط الذي يجهل أهله ونسبه ولا يستطيع أن يتصل بأسرة يلتحق بها فيكون أبتر في الناس — فهذا سبب التفرنج الذي نشكو بعض آثاره في الملة ولو كان أمر التربية وتعليم العلوم والفنون الدنيوية في يد زعماء الملة وعلمائها لما ازدادت الامة بها الا قوة واتحادا كما سبق لسلفها ،

كان خلفاء المسلمين وأمراؤهم وعلماؤهم في عصور حضارتهم يرون أنفسهم أولى من كل البشر بكل علم وكل فن ينفع الناس في معايشهم أو عقولهم أو أبدانهم حتى أحيوا العلوم الميتة والفنون الدارسة ، وكانت هذه العلوم والفنون تقرأ مع علوم الدين في مساجد المسلمين ومدارسهم ، وما وجدوا شيئاً منها مخالفاً لشيء من نصوص الدين الا وحكموا فيه بأحد أمرين إما كونه باطلا فلا يؤبه لمخالفته الدين ، وإما كون مخالفته صورية لا حقيقية لامكان الجمع بين ماثبت منه وبين النص

ثم صرنا الى عصور ضعف فيها العلم بالدين وبلغة الدين وبسائر العلوم والفنون التي كان المسلمون منفردين بها في العالم ، وكان لذلك أسباب أهمها ايجاب تقليد المصنفين الميتين ، وتحريم العلم الاستقلالي على الاحياء أجمعين ، بدعوى أنه من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجتهاد المتعذر على المتأخرين، واهمال التربية الملية التي تصحح النية في طلب العلوم والفنون وتوجهها الى مابه ترتقي الامة وتعتز.

ولكن الافرنج الذين اقتبسوا استقلال الفكر والعلم الاستدلالي من المسلمين فكانا سببي ارتقائهم، قد ردوهما الى المسلمين ليستعينوا بهما على اقناعهم بكل مايريدون من السوء بهم، من حيث لايشعرون بردهما اليهم، وبامكان استفادتهم منهما في دينهم ودنياهم، بعد أن حال دونهما رجال الدين الاسلامي بما أقفلوا في وجوههم من باب الاستقلال بطلب علم الدين بالدليل، وقد تربوا على أن لايقبلوا شيئا بدون دليل — فكتر مروقهم من الدين، ثم اقتنع كثير منهم بأن الدين عقبة في طريق ترقيهم في الدنيا فصاروا يحاربونه بالعلم والعمل

رجال الدين ورجال الدنيا

بهذا دخل عوامّ المسلمين في باب التنازع بين عاملي زعماء الدين وزعماء الدنيا. كل منهما يجذب العوامّ اليه، واننا نرى أن زعماء الدنيا أقدر على جذبهم الى مدارسهم والى تقليدهم، فطلابها وطالباتها يزدادون سنة بعد سنة ويبذلون المال لها، وطلاب علوم الدين في نقصان، على كون تعليمها بالمجان، وقلما يقبل عليه الا الفقراء الذين يعتصمون به من الخدمة العسكرية أو بدلها المالي. وقد أصبحت مناصب الحكومة وأعمالها وهي تكاد تكون محصورة في خريجي مدارس الدنيا، وهم يكيدون لما بقي لرجال الدين منها. وهو القضاء الشرعي المحدود الذي هو موضوع بحثنا في هذه المقالات — إما بابطاله وجعل جميع الاحكام قانونية وضعية حتى الاحكام الشخصية، وإما بالتوسل الى إلغاء القضاء الشرعي بجعل الاحكام الشخصية الشرعية قانونا، وابطال كونها دينا.

يعمل هؤلاء المتفرنجون كثيرا، ورجال الدين لا يعلمون شيئا، للمتفرنجين أحزاب وجمعيات كثيرة سياسية واجتماعية واشتراكية ... وليس لرجال الدين حزب ولا جمعية ذات نظام. المتفرنجون هم الاقلون، ولكنهم يزيدون ولا ينقصون، والدينيون لايزالون هم الاكثرين، ولكن كثرتهم الى قلة، ورابطتهم الى انحلال،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان طلاب المدارس المدنية هم الجند العامل في انقلاب سياسي، فلما شاركهم طلاب الازهر بمصر في ذلك اتحدت الحكومة مع السلطة الاجنبية على كبح جماحهم، والحجر عليهم وحدهم، ووافقتها مشيخة الازهر على ذلك لضعف ارادة رؤسائها وحرصهم على ما بيد الحكومة من رزقهم، وهذا الحجر مبني على القاعدة الافرنجية، المؤسسة لازالة السلطة والسيادة الاسلامية، وهي فصل السياسة من الدين، والذي يقتضي أن لا يشترك علماء الدين ولا طلا به في شيء من أعمال السياسة ولاشؤون الحكومة.

ما كل متعلم في المدارس المدنية متفرنجا. وما كل متفرنج ملحدا، وما كل ملحد منهم خادما للافرنج أو مشايعا لهم، بل جل ما في البلاد الاسلامية من سعي لاستقلالها، ومقاومة سلطة الاجانب فيها فهؤلاء المتفرنجون هم جل القائمين به. وقد بينا في المقالة الثانية من هذه المقالات أن لهؤلاء المتفرنجين مقاصد ونيات مختلفة في محاربتهم لهذه الشريعة التي يجهلونها، ويجهلون مكانها من تكوين أمتهم وحياتها، وأن منهم من يعتقد أنه يخدم أمته ووطنه باستبدال القضاء عليها بالقضاء بها ونقول الآن إن إثم هؤلاء وغيرهم ممن يظن بالشريعة ظنهم، وان لم يكن له مثل نيتهم، على عاتق الطائفة التي ليس لها رزق ولا مال، ولا احترام ولا جاه، الا من وقف حياتهم على الاشتغال بعلوم هذه الشريعة ووسائلها تعليما وتصنيفا، وإفتاء وقضاء، أعني طائفة علماء الدين، الذين صاروا حجة على الدين، وفتنة للمؤمنين والكافرين، (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

من الواجب على هذه الطائفة — بما أخذ الله عليها من الميثاق أن تبين للناس ما نزل اليهم تبيينا يثبت لهم بالآيات البينات أن فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وأنه كله حق وخير وعدل وصلاح، وأنه خال من كل باطل وشر وظلم وفساد، وأن أحكامه الدنيوية موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، وان سلطته ليست شخصية، ولا مما يسمونه «الاتوقراطية» بل هي حكومة شورى شعبية، وأكمل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثال لما يسمونه «الدمقراطية» وان ولي الامر فيها مسؤل غير متدس، ومقيد بمشاورة أهل الحل والعقد، الممثلين لسلطة الشعب — وأن تسهل سبيل فهمه وتعلمه لكل طبقة من طبقات الامة بما يليق بها من المصنفات بالطرق المعروفة في فن التعليم والتربية، بأن يوضع بعضها للاطفال، وبعضها للعوام، وبعضها لمن فوقهم من طلاب العلم، وبعضها للقضاة والمتقاضين،

وكان مما ينبغي للاخصائيين منهم بهذا النوع الاخير أن يطلعوا على كتب القوانين الوضيعة بأنواعها ويعرفوا مافيها من حسن وقبيح، وعدل وظلم، ليزدادوا بصيرة في محاسن شريعتهم وطرق خدمتها، وينظروا ماني كتبها الفقهية المتداولة من تقصير أو تعقيد أو نقص سببه ما حدث للناس من المعاملات التي لم تكن في عهد مصنفيها فيتداركوا ذلك كله ويثبتوا لكل ناظر فيما يضعونه من الكتب الحديثة أن هذه الشريعة كاملة لا يمكن لاهلها الاستغناء بها عن سواها، مع العمل بما ورد من أن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها

كما ينبغي للاخصائيين في علم العقائد أن يكون لهم إلمام كاف بالعلوم العصرية والفلسفة الحديثة، وأصول الاديان المشهورة، وتواريخ الملل الكبيرة، ليعرفوا نسبتها الى الاسلام، وما بينها وبينه من المشاركات والمباينات، وما في ذلك من الشبهات — وللاخصائيين في علم الارشاد العام والتربية أن يكون لهم إلمام بسيرة الجمعيات الدينية عند الافرنج ومقلديهم من نصارى الشرق في مدارسهم ومصنفاتهم، وسيرة قسوسهم ورهبانهم وراهباتهم، ليعلموا كيف يحوطون كل طبقة من طبقات أهل ملتهم بما يليق بها من تلقين الدين والترغيب فيه والدفاع عنه وغير ذلك

وكان مما يجب عليهم أن يكونوا خير قدوة للامة، وحجة الملة، بعلومهم وهديهم وافتائهم وقضائهم، وأخلاقهم وآدابهم، وإحياء السنن ومحاربة البدع، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتبع شبهات الملاحدة والمبتدعة والرد عليها، ووقاية العامة من شرها الخ

كل ذلك لم يكن، بل جل حظهم من العلم أن طالب العلم — في مثل الازهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وملحقاته بمصر، والفاتح والسليمانية بالآستانة، وجامع الزيتونة بتونس والنجف بالعراق وديوبند بالهند — يناطح كتبا معينة بضع عشرة سنة أو اكثر: مناقشة في مفرداتها وجملها وأساليبها الركيكة في الاكثر ليؤهل نفسه بذلك لامتحان يكون بفوزه فيه اماما أو خطيبا في مسجد أو مدرسا في هذه المعاهد الدينية، أو قاضيا في المحاكم الشرعية، فيكون له بذلك رزق مضمون، ومقام معلوم، وهو لا يستفيد من هذه الكتب التي يقتلها مناقشة وجدلا في الفاظها غيرة على الدين، ولا اهتماما بأمر المسلمين، ولا استعدادا لنشره في العوام، ولا لرفع شأنه في الخواص، وذلك بأنهم كما قال الاستاذ الامام يتعلمون كتبا لا علما.

نعم إن بين هذه المدارس وأهلها تفاوتا في العلم والعمل والاستفادة من علم الشرع، فعلماء (ديوبند) أبعد علماء المسلمين عن الدنيا ومناصب الحكومة، ولعلماء النجف من الجاه فوق ما لغيرهم من أمثالهم، وعلماء الترك لا يزال لهم مقام رفيع وتأثير في الحكومة والامة، وانما علماء مصر هم أقل علماء الاسلام حظا من الدنيا على رغبتهم فيها اذ هم فيما نعلم أشدهم تقصيرا.

احتاجت الحكومة المصرية الى تعليم العربية في مدارسها فأنشأت مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة لها اذ لم تجد في الازهر غناء. ثم لما ضجت الامة من فساد المحاكم الشرعية واضطرت الى اصلاحها لم تجد بدا من انشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي لان الازهر قد عجز عن تخريج قضاة ترضاهم الحكومة والامة. وكل من له من هذه الطائفة مزية مما تجب لاهلها فانما سببها استعداد خاص فيه، وتوفيق اتفاقي أتيح له لا طريقة التعليم المطردة، كالاستاذ الامام الذي عرف قيمة علمه وعقله وفضله الغرب والشرق، والانس والجن، وجهله أكثر علماء الازهر الذين قضى أفضل سني عمره في الجهاد لاصلاح حالهم، وجعلهم أئمة لهذه الامة، التي اعترفت له كلها بالامامة، وساعده المنار في جهاده هذا — فقاومه كبراء الشيوخ بكل ما أوتوه من حول وقوة، ومن بقية المكانة الرسمية لدى الامراء والحكام، والوهمية أو الخيالية عند العوام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد مات الاستاذ الامام فأنشأوا يعرفون من فضله بالتدريج أكثر مما كانوا يعرفون، ويقرون بما كانوا يجحدون ،وهم مع هذا لا يزالون لاصلاحه يقاومون ، فقد كان من طريقه الاصلاحي أن يذكر في التفسير بعض التأويل لما يشتبه على أهل العصر من الآيات ، التي يظنون انها لا تتفق مع بعض العلوم أو المكتشفات، مع تقريره لترجيح ما كان عليه السلف الصالح على كل ماخالفه، وكان مما ذكر من دفع بعض الشبهات مسألة خلق البشر من نفس واحدة فذكر انه ليس في القرآن نص قطعي أصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب ..... وقد تصدى بعض علماء الازهر ايهم يقال عنه أنهم أعرف بحاجة العصر من غيرهم الى تكفيرا من عهد قريب لاننا نشرنا رد هذه الشبهة في المنار، وكتب في ذلك مقالات في بعض الجرائد ومن العجيب أن يرشح صاحب هذا التكفير بعض تلاميذه لان يكون خليفة الاستاذ الامام !! وقد اطلعت في هذه الايام على كتاب طبع بمصر لشيخ مغربي يوزع بغير ثمن وموضوعه تجهيل الاستاذ الامام وصاحب المنار، وتكفيرهما بمقاومتهما للبدع وترغيبهما في علوم الكفار كالفلك وتقويم البلدان الخ

كل ذلك لم يكن ، وكل هذا قد كان ، فكان من جرائه أن بقيت حقائق الدين مجهولة ، ومحاسن الشريعة مدفونة ، وطرق العلم بها حالكة الظلام ، مشتبهة الاعلام ، والبدع في ازدياد ، تمهد السبيل لفشو الالحاد ، فان هؤلاء المتفرنجين الذين نشكو من محاربتهم للشريعة كالافرنج لا يعرف أكثرهم من الاسلام الا أنه ما عليه جمهور المسلمين من الشعائر والعقائد ، والاذكار والموالد ، الممزوجة بالبدع والخرافات، والتقاليد الباطلة والعادات، فانهم يرون كبراء العلماء يتصدرون تلك الاحتفالات، ويشاهدون طواف الالوف من النساء والرجال بالقبور المشيدة المنسوبة الى آل البيت والاولياء المجللة بالكشمير ، كطواف الحجاج ببيت الله خاشعين داعين مستغيثين بصاحب القبر .

بل كثيرا ما يقف هؤلاء المتفرنجون على وقائع اضطهاد بعض هؤلاء العلماء الاعلام لكل عالم أو طالب علم ينكر هذه البدع ، ويجاهر بالدعوة الى أتباع السلف ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كاضطهادهم للشيخ محمد الرمال الدمياطي واخراجه من دمياط ، وللشيخ مصطفى الشريف في طنطا ونقله من المسجد الاحمدي الى معهد أسيوط ، وللشيخ محمد عبدالظاهر في الاسكندرية وقد حرضوا العامة عليه هذه الايام فضربوه ضربا مبرحا ، ولكنهم اذا لقوا من يعتقدون فسوقهم ومروقهم من الدين من رجال الحكومة أو كبار الاغنياء يتملقون لهم بالتعظيم والمبالغة في الدعاء

هذا شأنهم في اضطهاد من تحت رئاستهم ولا يملكون أكثر منه ، وقد بجرا أحد قضاتهم الشرعيين على الحكم بردة الشيخ محمد أبي زيد (أحد تلامذة مدرسة دار الدعوة والارشاد) والتفريق بينه وبين زوجه اذ احتسب أحد علماء الازهر بابلاغ ذلك القاضي أنه قد ارتد عن الاسلام اذ قال ان الدليل على رسالة آدم غير قطعي وهو معارض بحديث الصحيحين وغيرهما الناطق بأن نوحا أول رسول أرسله الله الى أهل الارض ، ولكن قاضي الاستئناف كان أعلم وأحكم من هذا القاضي فنقض حكمه

وغاية دفاعهم عن الدين أن يطلبوا من الحكومة ابطال بعض الصحف عند ماتنشر شيئا مخالفا للدين أو للمذاهب المشهورة فيه. وقد بلغنا أنهم طلبوا منها خيرا أن تأمر بمنع مجلة القضاء الشرعي التي أنشأها بعض أساتذة هذه المدرسة وطلابها النجباء لانه نشر فيها بحث في امضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطلاق الثلاث باللفظ الواحد خلافا لما جرى عليه العمل في عصر الرسول (ص) وعهد خلافة أبي بكر (رض) وسنتين من خلافته .

ويعتقد هؤلاء المتفرنجون أنه لو كان لهؤلاء العلماء نفوذ في الحكومة لمنعوا بقوتها حرية العلم والاعتقاد والعمل في كل ما يخالف معارفهم التقليدية في الدين ، بل لتحكموا في حرمان من شاؤا من الدين وعقابه حتى بالقتل كما كان يفعل غيرهم من النصاري اذ كان رؤساؤهم في الدين مثلهم في معارفهم

ماذكرناه أولا وآخرا هو علة العلل لما فشا في المسلمين من الالحاد في الدين والاعراض عن الشريعة وتفضيل بعض المتفرنجين القوانين الوضعية عليها في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصر والآستانة وكل قطر دخل فيه التعليم الاوربي ، واصر فيه جمهور علماء المسلمين على جعل الشرع محصورا فيما قال مصنفو كتب مخصوصة انه المعتمد أو المفتى به في المذهب وان خالف ظواهر القرآن والاحاديث الصحيحة ومصلحة الامة والدولة

ومن هذا الجمود التقليدي ان شيوخ الاسلام في الآستانة يحظرون الفتوى بما في مجلة الاحكام العدلية لان بعض موادها مخالف للمعتمد في مذهب الحنفية ، . ولقد قلت لشيخ الاسلام موسى كاظم افندي بمناسبة حديث بيننا : إنني مستعد ان أستخرج لكم من الشريعة الغراء كل ما تمس اليه حاجة العصر في غير الربا القطعي اذا كنتم تنفذونه ، قال أنا أعلم ان هذا سهل وأتمناه ولكن ما ذا نفعل في مشايخ الفتوى خانه ؟

يعلم الله تعالى اننا نود لو يكون علماء الشرع فينا هم قادة هذه الامة في دينها ودنياها ، اننا لم نلق ما ألقيناه منذ إنشاء المنار من التبعة عليهم في تقصيرهم الا لاجل حفز هممهم لتلافي ذلك التقصير وأول ما يجب أن يعرفوه من حال العصر وأهله في هذه السبيل أن حرية العلم والرأي واستقلال الفكر مقدسان عند جميع المتعلمين في غير المدارس الدينية وكذا عند بعض المتعلمين فيها — والاولون هم أولو الامر والنهي في الحكومتين التركية والمصرية فاذا لم يقدر العلماء هذه الحرية والاستقلال قدرهما ، ويرجعوا عن اصرارهم على التقليد الاصم الابكم الاعمى ، فان هؤلاء يغلبونهم على عامة الامة ، ويتركون ما بقي من صلة الحكومة بالدين والشريعة ، عملا بقاعدة فصل الدين عن السياسة بالمعنى الذي يفهمونه ويدعو اليه بعضهم اليوم ، لا بالمعنى المعروف عند علماء الشرع في مثل قولهم يصح كذا قضاء لا ديانة أو ديانة لا قضاء .

ويعلم من قول شيخ الاسلام الذي ذكرناه آنفا أنه يوجد في علماء الترك أفراد من المستقلين في علم الدين العارفين بحال العصر وما ينبغي من الاصلاح فيه ويوجد مثلهم في مصر وتونس والهند ولكنهم مغلوبون على أمرهم حتى ان الذي يصل منهم الى مقام المشيخة الاسلامية في الآستانة والى مقام إفتاء الديار المصرية في القاهرة يبقى مغلوبا على ما يريد من الاصلاح بجمود السواد الاعظم من هؤلاء المقلدة

فاذا تيسر أن يكون لهؤلاء المستقلين من العلماء حزب قوي منظم وعرفوا الطريق المستقيم لحفظ الدين والشريعة وسلكوه فانهم يجدون من هؤلاء المتفرنجين انصارا حتى يكون الشاذ منهم قليلا وضعيفا لا تخشى عاقبة شذوذه . وسنذكر في المقال الآتي ما ينبغي الأخذ به في هذا الطريق ، وبالله التوفيق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ تتمة تلخيص مكتوبات نائب ملك الانكليز لامير مكة تابع ص ٦٢٤ ﴾

(١٠) استصوابها (أي الحكومة البريطانية) انتحال الشريف حسين للخلافة الاسلامية واغراؤه باعلانها ، والتصريح بأن ملك الانكليز نفسه « رحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع الدوحة النبوية المباركة » (؟)

(١١) الوعد المتعلق بمسألة الصلح ونصه كما في ص ٦٢١ « فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والترك »

هذه جملة العهود والوعود والمقاولات الابتدائية بين الانكليز وأمير مكة وهي قسمان

(أحدهما) ما طلبه هو من الحكومة الانكليزية وسماه مقررات النهضة وهذا كله شر واستعباد للعرب وقضاء على حريتهم ولا يلزم أحدا من العرب به شيء لانه لم يكن موكلا من أحد منهم بأن يساوم الانكليز ويعطيهم حق الحماية للبلاد العربية وتأسيس حكومات فيها يتولون ادارتها وحفظها

(ثانيهما) وعود الانكليز المطلقة للعرب بما كتبوه له وقالوا مثله لنا ولغيرنا ونشروه على العرب في جريدة عربية سموها الكوكب كانوا ينشرونها بطرق النشر العسكرية في جميع الاقطار العربية، وهو أن العرب سيكونون بانتصار الدولة البريطانية أحرارا مستقلين في بلادهم. فهذه الوعود حجج يجب أن نعير بها الانكليز ونشهرهم بالكذب والخداع والغش الى أن يتركوا لنا استقلال بلادنا كلها.

نعم انهم يسمون الحجاز والعراق وشرق الاردن بلاداً مستقلة ويصدقهم في ذلك من وضعوهم ملوكا وأمراء فيها لانهم هم أعوانهم على استعباد الامة العربية . كأن الاستقلال عبارة عن تولية هؤلاء الثلاثة هذه المناصب ، فمصر اذا مستقلة من قبل تصريح ٢٨ نوفمبر الذي تقرر به الاستقلال الاسمي لها حتى في مجلس العموم الانكليزي ، وزنجبار مستقلة لان فيها سلطانا وطنيا ومسقط بالاولى، بل في الهند بلاد مستقلة كثيرة كحيدر آباد الدكن وبهوبال وكشمير و . و . . . ؟ فالى متى يسخر هؤلاء الساسة الاشرار بالامم والشعوب؟ والى متى يجدون من الخونة في هذه الامم من يساعدهم على ذلك ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى حلة الاوربية

(١)

السعي للتوفيق بين الشرق والغرب

كان مما أقصد اليه في رحلتي هذه أن التقي ببعض أحرار أوربة المستقلي الرأي فأستفيد من آرائهم وأفيدهم ما أحب أن يعرفوه عن بلاد الشرق عامة وبلادنا العربية خاصة ، وأن أقترح عليهم السعي لاصلاح ذات بين الشرق والغرب بالعدل والانصاف ومبادلة المنافع وعدول الدول المستعمرة عن مطامعها ، وعن أصرارها على استعباد الشعوب الشرقيـة واغتصاب خيرات بلادها بالقوة العسكرية القاهرة ، وأبين لهم ما تجدد بهذه الحرب من يقظة هذه الشعوب وتعارفها ، وتوجهها الى التعاون على دفع عدوان المعتدين عليها ، وما يؤول اليه أمر هذه الاطماع الاستعمارية من الفتن والحروب بما تغرسه في قلوب المظلومين المقهورين من العداء ، وما تثيره من الاحقاد ، وأن خير الوسائل لتلافي هذه الشرور أن يعنى أحرار أوربة باقناع رجال الدول المستعمرة أو إكراههم بقوة شعوبهم الادبية ومجالسهم النيابية ، على قاعدة حرية الشعوب وسيادتها القومية ، ومساعدتها على ما تطلبه باختيارها من وسائل تعمير بلادها بالفنون العملية والآلات الصناعية ، في مقابلة الانتفاع منها بما في بلادها من فضل الاغذية ومواد الصناعة الاولية

آراء أحرار أوربة في تنازع الشرق والغرب

لقيت أفرادا من هؤلاء الاحرار في (جنيف) وغيرها وتحدثت معهم في هذا المقصد ، فألفيتهم يعتقدون أن هذه الحرب لم تزد رجال السياسة في الدول الكبرى الا رسوخا في الطمع المردي والدسائس ، وتماديا في إثارة الفتن والشرور ، وضراوة بسفك الدماء ، ويعرفون كنه فساد ساسة هذه الدول ويتشاءمون بسوء عاقبتها ، ولا يصدقون ما يدعيه هؤلاء الاباكون من الطمن في الشرقيين ولا سيما المسلمين والرغبة في اصلاح حالهم ، ووقاية نصارى الشرق من تعصبهم ، بل وقاية أوربة نفسها من سوء تأثير حريتهم واستقلالهم

ذكرت في الفصل الذي قبل هذا أن آخر من لقينا من رجال جمعية الامم في جنيف رئيسها العام ، في هذا العام (١٩٢١) أو في هذا الاجتماع ، وذكرت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض حديثنا معه ، وأذكر هنا أن سكرتيره الخاص (موسيو شولر) كان قد تعشى وسهر معنا في الليلة التي قابلنا الرئيس في نهارها (ليلة غرة صفر سنة ١٣٤٠) وقد دار السمر بيننا في الموضوع الذي بينه آنفا فأعجبنا انصاف هذا الشاب واطلاعه على كثير من حقائق السياسة الاوربية المتعلقة بالشرق ، ولا سيما الترك ، ونذكر مجملا من كلامه

قال : كنت أصدق ما كانت تذيعه السياسة في أوربة عن توحش الترك وظلمهم للمسيحيين عامة والارمن خاصة الى أن أتيح لي أن أذهب الى الآستانة وأختبر الحال بنفسي ، وحينئذ علمت أن أوربة على عدم تمسكها بالدين ، هي المتعصبة على المسلمين ، والكاذبة بما بثته من الدعوة بأنهم أعداء المسيحيين ، فقد مكثت في الآستانة زمناً طويلا عاشرت فيه المسلمين ورأيت من حسن أخلاقهم وآدابهم ، ما وقفت به على درجة التحامل عليهم ، وأعترف بأن الحلفاء جعلوا مسألة الانتداب على البلاد العربية ذريعة الى ما ذكرتموه من طمعهم في استعمارها ، واستعباد أهلها ، وذكر لنا واقعة مما شاهده بنفسه في الآستانة من معاملة مسلمي الترك للارمن

قال : كان في الآستانة لجنة أميركية تسمى لتحرير الارمن من رق الترك بزعمها ، وقد بلغها أن أحد الباشوات قد اغتصب فتاة أرمنية واكرهها على الاسلام ، فسألوه عنها فاعترف بأن عنده بنتا فقيرة يتيمة آواها ورباها وأحسن معاملتها ، وهي تقيم في داره برضاها واختيارها ، فطلبوا منه بكل غلظة وفظاظة أن يأتيهم بها ففعل ، فسألوها عن قصتها فكان كلامها مصدقا لما قاله الباشا على أكمل وجه وعلموا منها أنها في سعادة وغبطة في عيشتها الراضية عنده وانها غير مكرهة على شيء ولا كارهة لشيء ، ولا ممنوعة من الذهاب الى حيث تشاء . فسألوها عن إكراهه إياها على الاسلام ، فقالت انه لم يدعها احد الى الاسلام ، لا بالاكراه ولا بالاختيار ، ولكنها الفت الاسلام من تلقاء نفسها وصارت تذهب مع سيدات الدار (الهوانم) احيانا الى المسجد اذا ذهبن اليه فلا يمنعنها اذا ذهبت ، ولا يسألنها الذهاب اذا قعدت . فطلبوا منها ان تترك بيت الباشا وتتبعهم لانه يجب ان تعود الى دينها ، وتتزوج برجل من ابناء جنسها ، فامتنعت فأكرهوها واخذوها فوضعوها في مشغل كانوا يضعون فيه امثالها لاجل تحصيل رزقهن بعملهن ، فكانت كارهة لنقلها عن نعيم مقيم ، الى بؤس اليم ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعد ايام قليلة من تركها للدار جاء المكان الذي كانت فيه سيدة او سيدتان من حرم الباشا ومعهما عبد من الاغوات يحمل بقجا من الحرير المزركش فيها حلل من الثياب النفيسة وعلب فيها حلي من الذهب والجواهر وقدمها للبنت الارمنية ، وقالت سيدته للبنت ولمن حولها ان هـذه الحلي والحلل هي التي كانت هي وبناتها يتبرعن بها للفتاة في الاعياد والمواسم ويحفظنها لها ، لاجل تجهيزها بها عند زواجها ، فهي قد صارت ملكها ، ولا تطيب انفسهن لحرمانها منها!! فهذا مثال الاسترقاق والظلم الذي كان يسومه باشاوات الترك وحرمهم للارمنيات!! وأما الارمن الذي خدعهم الانكليز والروس بالخروج على دولتهم بالسلاح والكيد لها والتحيز الى أعدائها وقت الحرب فلا يعقل أن يغفر لهم الترك ذلك

وكان رئيس مؤتمرنا قد دعا مدير جريدة (تريبون دي جنيف) وسكرتيره الى العشاء مع أعضاء المؤتمر في الفندق فأجابوا الدعوة ، وقد رغب الي سكرتير قلم التحرير (موسيو ماتيل) ان اجلس بجنبه على المائدة لاجل الحديث معه فأجبت مرتاحا ودار بيننا حديث طويل اتممناه في سمرنا بعد العشاء

بدأت الحديث بأن بينت له خلاصة علاقة الشرق بالغرب ، وما يود اقتباسه من علومه وفنونه ، وما يكره من أفكاره وشؤونه ، وما ينكر من مدنيته المادية ، ومطامعه الاستعمارية ، التي كان التنازع عليها موقدا لنار الحرب الاخيرة وينتظر أن يوقد نار حرب أخرى شر منها ، الا أن يتلافى عقلاء أوربة الاحرار هذا الخطر بمقاومة هذه السياسة ، وارجاع الدول المستعمرة عن التمادي في هذه المطامع ، وإقناعها بالاستفادة من بلادنا وافادتها ، مع ترك أمر الحكم فيها لاهلها

قال : ان مدنيتكم مدنية آداب وفضائل فحافظوا عليها فهي خير لكم من مدنية الغرب المادية الفاسدة التي هي كما ترى مظاهر رياء وزينة وشهوات . .

قلت : إننا راضون بآدابنا وفضائلنا ولا نريد ان نستبدل بها غيرها ولا سيما هذه الآداب والتقاليد والعادات المبنية على الافكار المادية والشهوات النفسية ، التي تبيح السكر والزنا والقمار ، وسلب الاقوياء لحقوق الضعفاء ، وانما نريد أن نقتبس بعض الفنون والصناعات المساعدة على العمران

قال : انكم لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية مثلنا فان الشرق غير مستعد لذلك كالغرب ، ثم إن هذه الصناعات من مفسدات الاخلاق أيضا ، فاذا أنشيء في الشرق معامل كمعامل أوربة فانه يدخل فيها النظام المالي الاوربي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاحوال الاجتماعية الغربية المبنية على الطمع والنهب والمزاحمة وسائر المفاسد أي كمسألة المال ، واختلاط النساء والرجال ، ومفاسدهما كثيرة معلومة

قلت — وقد ظننت أنه مخادع لانه سياسي : ان الشرق قد سبق الغرب الى الصناعات العظيمة الباقية آثارها من الوف السنين في مصر وغيرها . . بل جميع أصناف البشر مستعدون لكل علم وصناعة ، والشعوب التي سبقت لها مدنية صناعية يكون استعدادها أقوى بسبب تأثير الوراثة . وهذه أمة اليابان شرقية وهي من الجنس الاصفر الذي كان يظن أنه أقل استعدادا من الابيض الذي نحن منه مثلكم وقد ساوت أوربة في كل علم وصناعة

قال : انني أعني بأنكم لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية لعدم الداعية لا لضعف في الاستعداد الفطري ، والداعية هي الحاجة التي تولدها كثرة السكان وعدم كفاية الارض لمعيشتهم — والشرقيون الاقدمون الذين ترقوا في الصناعة كالمصريين والاشوريين كانوا ممن ضاقت بهم بلادهم

قلت — وأنا أريد اختصار البحث الاجتماعي والانتقال الى البحث السياسي — : إننا لا نحاول الآن أن نشيد معامل تغنينا عن كل صناعات أوربة وأميريكة فان لهذه موانع اقتصادية عندنا تحول دون ربحنا منها ، وفوزنا على مصنوعات الغرب التي تزاحمنا فيها ، وإنما نحن محتاجون أشد الاحتياج الى بعض الفنون والصناعات الضرورية لترقية ر احتنا واستغلال أرضنا فبها يتضاعف ريعها ، ونحن أعرف بما نحتاجه وما نحن مضطرون اليه منها ، وانما نريد ان نستفيد من امثالكم الاحرار ما يجب السعي اليه منا ومنكم في علاقة بلادنا ببلادكم فان حكوماتكم الاستعمارية لا تتركنا احرارا في شؤون حياتنا حتى نختار لانفسنا ما نحافظ به على مدنيتنا ونقتبس ما نشاء من شعوبها وندع ما نشاء ، وقد كنا جاهلين بكنه مطامعها وخفايا سياستها فعرفنا ، ونائمين فاستيقظنا

انني مغتبط بك لانني رأيتك على رأينا في المدنية المادية ومفاسدها والظاهر ان أصحاب هذا الرأي في أوربة قليلون ، وهو رأي شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر فقد حدثنا عنه أستاذنا الامام الحكيم الشيخ محمد عبده المصري الشهير أنه لما زاره في آخر سياحة له في أوربة — (وكان ذلك في مصطافه بمدينة بريتن — في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) سأل الفيلسوف الامام : هل زرت انكلترة قبل هذه المرة؟ قال نعم زرتها منذ ١٩ سنة عقب الاحتلال البريطاني لامور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتعلق بالاحتلال ومالية مصر ومسألة السودان. قال: هل رأيت في هذه المرة تغيراً في الافكار؟ وما ترى من الفرق بين الانكليز اليوم والانكليز منذ عشرين سنة؟ قال: لم ألاق كثيراً من الناس هذه المرة لاني حديث عهد ومثل هذا التغير يؤخذ العلم به عنكم قال الفيلسوف: الحق عند أوربة للقوة

الامام: هكذا يعتقد الشرقيون ومظاهر القوة هي التي حملتهم على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابعه

الفيلسوف: محي الحق من عقول أهل أوربة واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت بالفضيلة، وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين أولا فأفسدت الاخلاق وأضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكليز فهم الآن يرجعون القهقرى بذلك. وسترى هذه الامم يختبط بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الاقوى فيكون سلطان العالم

الامام: اني آمل أن يحول دون ذلك هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادىء الحق والعدل ونصر الفضيلة

الفيلسوف: وأما أنا فليس عندي مثل هذا الامل فان هذا التيار المادي لابد أن يبلغ مده غاية حده

(موسيو راسيل) اني أنا أعتقد مثل هذا الاعتقاد ولست كالفيلسوف سبنسر وكثير من العقلاء يعتقدونه وهو لا يحتاج الى كل علم سبنسر وفلسفته، فان الترف واتباع الشهوات الذي هو أثر طبيعي للثروة وسعة الحضارة هو الذي أهلك الامم السابقة وازال حضارتها في الشرق والغرب كأممكم العربية والمصرية، وامم اليونانية والرومانية. وهو الذي لابد ان يقضي على مدنيتنا الحاضرة، فان سنة الاجتماع في كل الامم واحدة لا تتغير

قلت: نحن نعتقد هذا من يعرف منا علم الاجتماع ومن لا يعرفه لانه منصوص في القرآن في آيات منها قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وفي آيات أخرى ان لله سنناً في الامم كقوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) وان هذه السنن لا تبديل لها ولا تحويل، ولكن الامم الاوربية تعلم من هذه السنن ما لم يكن يعلمه من قبلها، حتى المسلمون الذين ارشدهم كتابهم اليها، وشرع بعض حكمائهم في جعلها علما مدونا كابن خلدون الفيلسوف العربي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المشهور — ولكنهم ظلوا مقصرين في ذلك حتى وسع نطاق هذا العلم مثل الفيلسوف سبنسر وغيره فهم بارشاد هذا العلم يجتهدون في اتقاء الهلاك اجتهادا ربما يكون سببا في تأخيره فنحن في هذه الفرصة يجب ان نتقي شر اعتدائهم علينا، ليطول امد السلام فيكم وفينا

قال: ان التأخير ليس بمستطاع وقد حكيت عن الفيلسوف سبنسر انه كان يائساً من تلافي مفاسد الافكار المادية ونصر الحق والفضيلة عليها. وانا اخبرك بأنه يوجد كثير من عقلاء اوربة يعتقدون ان خرابها سيكون قريبا وانه ربما يكون هذا الجيل آخر جيل فيها، وحجتهم عليها هذه الحرب الاخيرة

قلت: الا ترى ان من الممكن التوسل بأمثال هؤلاء العقلاء الى بث الدعوة في الشعوب الاوربية بالزام حكوماتها ترك العدوان على حريتنا واستقلالنا، اكتفاء بمبادلة المنافع بينهم وبيننا، وتلافيا لما تولده المطامع في بلادنا من التنازع بين الدول الطامعة فيها، الذي يفضي الى الحرب الآتية، وهي التي اذا وقعت ستكون القاضية

قال: لا إمكان فهؤلاء السياسيون لا يحولهم عما تربوا ومرنوا عليه من المطامع والدسائس الا القوة القاهرة...

قلت: وبم تنصح لنا اذن؟

قال: اجمعوا كلمتكم، وحافظوا على دينكم وآدابكم وفضائلكم، واستعدوا للاستفادة من الحرب الآتية، فاذا كانت شعوبكم تتبع راي الزعماء العقلاء مثلكم فانكم تستفيدون من فرصة الحرب الآتية، ما فاتكم مثله في الحرب الماضية، والا فلستم الآن بأهل للاستقلال ولا للحرية، بل تحتاجون الى تربية طويلة...

هذا ملخص حديثنا السياسي على المائدة وفي السمر بعدها، بل كان من حريته التامة ان صرح بما لا يجوز لي ان انقله عنه الا باذنه، وهو يعتقد ان ساسة الغرب يكذبون فيما يرموننا به من العيوب ليحتجوا به على اقناع مجالسهم واحرار شعوبهم بالاعتداء علينا. ومن مجاملته الادبية لي قوله: انني اعتقد بتناسخ الارواح، وقد رايت روحي قريبة من روحك ولكنها لم تبلغ درجتها في الارتقاء، وانني ارجو ان تدركها بعد موت وحياة اخرى فنلتقي في الحياة الثالثة تلاقي الاتحاد والمساواة، فأجبته بمجاملة تليق بالمقام وأثنيت على ما افادنا، وما نصح به لنا، مغتبطا بتفاقنا في الافكار والآراء.